محمد سيدنا صلى الله عليه وسلم
من البدء إلى الأبد
في القرآن والسنة

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

لشركة الوابل الصيب للإنتاج والنشر والتوزيع

٧ شارع الجمهورية - عابدين - وسط القاهرة

١٠ شارع الإمام الدردير - خلف الجامع الأزهر

جمهورية مصر العربية

الكتاب: سيدنا محمد ﷺ من البدء إلى الأبد في القرآن والسنة

المؤلف: خلدون أمين القادري

الطبعة: الثالثة / ٢٠٢٣

بلد الطباعة: القاهرة - مصر

رقم الإيداع: ٢٧٢١٥/ ٢٠٢١

الترقيم الدولي ISBN: 978-977-6802-38-4

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

من البدء إلى الأبد
في القرآن والسنة

تأليف الفقير إلى الله
خلدون أمين الحسني القادري

تقديم

أ. د. سري سري السيد جبر الحسني
من علماء الأزهر الشريف

الشيخ الدكتور رافع السيد طه الرفاعي
مفتي الديار العراقية

الوابل الصيب

الإهـــداء

إلى المنَّة العظمى والنعمة الكبرى وصاحب مقام قاب قوسين أو أدنى، إلى المبعوث رحمة للعالمين، وملاذاً للخائفين، وشفيعاً للمذنبين، وقبلة للعاشقين، سيدنا محمد ﷺ.

إلى من لهم عليَّ عظيم الفضل والمنَّة، وأخص منهم سلطان الأولياء والصالحين الغوث الرباني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه.

وإلى شيخ مشايخنا الوارث المحمدي الشيخ محمد الحلَّاب رضي الله عنه.

وإلى شيخي ومددي وأبي الروحي الشيخ حسين الحلَّاب رضي الله عنه.

وإلى شيخي وسندي وأبي الروحي ومُجيزي الشيخ حسن الحلَّاب رضي الله عنه.

وإلى الظل النبوي، والوارث الخفي، العارف بالله الشيخ علي الفروجي الجزائري.

وإلى شيخنا الشيخ الدكتور يسري رشدي السيد جبر الحسني.

وإلى شيخنا مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع السيد طه الرفاعي.

وإلى أخي وشقيق روحي الشيخ أحمد عبد العزيز الفلوجي القادري.

وإلى أبي وأمي وزوجتي وأبنائي وأخوتي وأحبابي، وجميع المتعلقين بصاحب الجناب العالي ﷺ، وجميع المسلمين عسى أن تنالنا دعواتهم الصالحة.

هذا كتابٌ أينعَتْ ثمراتُه

هـذا كتـابٌ أينـعَتْ ثمراتُـه ... وزكـا من النـور المعين نباتُه
أذِنَـتْ به من فيض طه نظرةٌ ... فليهْنِ كاتبَه الكريمَ هباتُه
طلعت به شمسُ النوال فأشرقت ... من نـور إشـراقـاتـه حجـراتُه
في كل بـاب منه نفحة قابس ... قبسوا فهم وُرّاثُـــه ورُواتُـــه
لا يستطاع لنور أحمد ناقلٌ ... إلّا من اصطُفِيَتْ لديه صفاتُه
من صدَّقت أنوارَ طه روحُه ... فجديرة بصفات طه ذاتُه
والله لا يَلِج امـرؤ بيقينه ... في نـوره إلّا علته سماتُه
إن تحظ بالتصديق نفسُك تأتها ... ما لم يصبها وابـلٌ قطراتُه
فالزمه واعضض ناجذيك بأصله ... فهو الكتـابُ تنزلت آياتُه
وهـو المفـاز فلا تَـرُحْ بفواته ... وهو المنارُ قد اعتَلَتْه هُداتُه
يا سيدي هـذا كتاب منكمُ ... وإليـكمُ فعليكمُ نفحاتُه
يا سيد السادات هذا فيضكم ... صـافٍ فأنتم عذبه وفُراتُه
يا سيد الأكوان هـذا فضلكم ... فتقبلوه لتُجتَنَى بركاتُه
خلدون خادمكم يُرَجّي جودَكم ... وأنـا خـويدم نعلكم ووطاتُه
فتصدقوا يا سيدي بزكاتكم ... حق الفقير من الغني زكاتُه
هـذا كتـاب منكمو أنـواره ... وكذا القصيد فمنكمو أبياتُه

خويدم الجناب الشريف
د . محمد وسام عباس خضر
عضو الهيئة الاستشارية العليا بدار الإفتاء المصرية

مقدّمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي جعلنا من أمةِ سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، واسطة الإيجاد والإمداد، والهداية والإسعاد.

اللهم صلَّ عليه وعلى آله عدد ما أودعت فيه من الأسرار والأنوار والعلوم والمعارف من البدء إلى الأبد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ،

فالحمد لله الذي شرفنا وكرمنا ووفقنا لكتابة هذا السفر العظيم، الذي يتعلقُ بالحبيب الأعظم والرسول الأفخم ﷺ، فنقدم لجميع المحبين المتعلقين بصاحب الجناب العالي ﷺ الطبعة الثانية من كتاب «**سيدُنا محمد ﷺ من البدء إلى الأبد في القرآن والسنة**» مزيدة ومنقحة.

وازدادت هذه الطبعة جمالاً وبهاءً وسناءً بمراجعتها على مفتي الديار العراقية مولانا الشيخ الدكتور رافع الرفاعي «حفظه الله» وتطرزت بإضافة أقواله وأراءه التي أشارت إلى كمالات سيدنا محمد ﷺ وعظمة مقامه عند مولاه.

فالحمد لله أولاً وأخراً، ظاهراً وباطناً، ونسأله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينال رضى سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وأن يحشرنا ومشايخنا وأحبابنا بمعيته في الدارين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفقير إلى مولاه

خلدون أمين الهيتي القادري

مقدمة مفتي الديار العراقية

الشيخ الدكتور رافع السيد طه الرفاعي

الحمد لله، والصلاةُ والسلامُ الأتمَّانِ الأكملانِ على سيِّدِنا رسول الله، وعلى آله وصحبهِ ومن والاه.

أمَّا بعدُ،

فإنَّ البحثَ فيما يتعلَّقُ بالشخصيةِ المُحمَّديَّةِ الطاهرةِ المباركة أمرٌ عظيم، وإنَّ الإنسانَ كُلَّما توسَّعَ في البحثِ في هذا المقام يزدادُ معرفةً بمدى قصورِهِ وعجزِه عن إدراكِ المرام.

وقد صدق البوصيريُّ إذ قال:

إنما مثَّلوا صفاتِكَ للنَّا ... سِ كمَّا مثَّلَ النجومَ الماءُ

وصدقَ ابنُ الفارضِ حيثُ قال:

وعلى تفنُّنِ مادحيهِ بوصفهِ ... يفنى الزَمانُ وفيهِ ما لم يوصَفِ

فالإحاطةُ بهذه الحقيقةِ المباركةِ ضربٌ من المُحالِ، ويقصُرُ عن التعبير عنها فصيحُ المقال.

ولكنَّ الساعي في سُبل المعرفةِ لاقتناصِ ما يفتَحِ اللهُ عليهِ في ذلك ينالُ شرفَ المحبةِ الموروث من فيوضاتِ المعرفةِ بما يناسب مقدارها، فهذا بابٌ من أبواب الاتِّصالِ بسيّدِ أهل الكمالِ صلواتُ ربي وسلامهُ عليه.

وإنَّ ممن ووفقهُ الله تعالى للغورِ في لجّةِ هذا البحر الذي لا ساحل لهُ، الفاضلُ الشيخ خلدون أمين الهيتي القادري، فقد وفقه الله تعالى لجمع ما تفرَّق من أقوال العلماءِ، وفهوم الأولياء، فأخرجَ لنا سِفراً ماتعاً في بابهِ سمَّاهُ (**سيّدنا محمد ﷺ من البدءِ إلى الأبدِ في القُرآنِ والسُنَّة**).

وقد اطلعتُ عليهِ فوجدتهُ قد جمعَ فيهِ بعضاً من نوادرِ الفرائدِ، وهو بابٌ لنيلِ حسن العوائد، ناهيكَ عمّا هو منشورٌ على الموائد، ففيه ما فيه من الفوائد.

نسألُ الله ﷻ أن ينفعَ به مؤلِّفهُ وقارئهُ، وأن يكونَ وسيلةً للقربِ من صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والشفاعة العظمى في اليوم الموعود، صلاةُ الله وسلامهُ عليه وعلى آله وصحبه كلما ذكرهُ الذاكرونَ، وغفلَ عن ذكرهِ الغافلون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشيخ الدكتور

رافع السيد طه الرفاعي

مفتي الديار العراقية

مقدمة

أ.د الشيخ يسري جبر الحسني الأزهري

الحمد لله المتقدس في عليائه أن يُحاط به علماً أو يدركه خيال مخلوق، أحاط بكل شيء علماً ولا يحيطون به علماً سبحانه، الذي لولا خَلَقَ اللهُ ﷻ رسولَهُ ﷺ وجعله نورا ليظهر به مكنون مراده من العدم إلى الوجود وجعله رحمة لكل العوالم ما ظهر شيء ولا كان كون، وجعله ﷺ برزخا بين أحديته وواحديته ليظهر تجليات وآثار أسمائه وصفاته، فبه ﷺ عُرف الله وعُبد الله وظهرت كلمات الله من كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام، وحقيقة هذا الرسول ﷺ وروحانيته ومظاهر بشريته بمحمديته كلها نطق بها القرآن وجاءت في أحاديث النبي ﷺ، فكان نِعمَ البَدءُ ونِعمَ الختام، رسولٌ على الدوام والأبد ولا يعلم قدره إلا مولاه، وما ظهر في الدنيا من حقيقة رحمته إلا جزء من مائة جزء ليدخر الباقي لعالم البرزخ والبعث والنشور والجنة والنار إلى الأبد لا نهاية لأبديته.

وهذا الكتاب اللطيف الحجم طاف بنا فيه مؤلفه بين آيات الذكر الحكيم وأحاديث الصادق الأمين لبيان الأطوار المحمدية التي عمت الأكوان من البداية إلى ما لا نهاية.

وحري بكل مسلم أن يطالعه ليرتقي من معرفة هذا الحبيب الأعظم والنبي الأكرم فيثمر ذلك حبا يدفعه إلى التخلق بأخلاقه والتعلق بأوصافه والتحقق بحقائقه فيرتقي في إيمانه وإسلامه ويعلو في معارج الإحسان وكمالاته فيتم له المراد ويتحقق المقصود ويجتمع الفرع بالأصل ويحشر المرء مع من أحب.

والله الموفق وهو المستعان وعليه التكلان وإليه المرجع والمآب.

الفقير إلى الله

يسري رشدي السيد جبر الحسني

من علماء الأزهر الشريف

مقدّمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين الذي منَّ على الأكوان بالنور المبين الرحمة للعالمين ﷺ، وجعله واسطة لقبول تجلياته بجميع أسمائه وصفاته وتقسيمها على الأكوان بحسب مراده فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

اللهم صلِّ عليه صلاة تجمعنا به وعليه ﷺ في الدارين، وتجعلنا من خواص أحبابه وأهل حضرته، وتفنينا فيه فيكون روحا لأرواحنا وسرا لأسرارنا حتى يكون دليلنا إلى حضرتك القدوسية.

أما بعد؛

فكما هو معلوم لكل المسلمين، لا يَنال العبد محبة الله ﷻ إلا إذا تحقق بمحبة الحبيب الأعظم ﷺ، وفنى في حبه، وأشغل لسانه وقلبه وروحه وسره بهذا النبي المعظم ﷺ، ولا سبيل لذلك إلا إذا ازداد العبد معرفة بخصائص وكمالات وفضائل وأسرار وأنوار الحبيب المحبوب ﷺ، لذلك تسابق العلماء الربانيون والعارفون بالله في بيان هذه الكمالات والحقائق المحمدية في كتبهم، فمنهم من كتب بالشمائل ومنهم من كتب بالخصائص ومنهم من كتب عن

الكمالات ومنهم عن الحقيقة المحمدية ومنهم عن دلائل النبوة والمعجزات وكل ذلك ليفتحوا الباب للمحبين للتعرف على محبوبهم ﷺ والتعلق به والتحقق به.

ولقد أودع الله ﷻ أسرار الحقيقة المحمدية وأنوارها ومعارفها في كتابه العزيز مما تعجز العقول عن تصور حدودها ومنتهاها. فالقرآن الكريم من الفاتحة إلى الناس مدح لسيدنا محمد ﷺ وذكر لأسراره وحقيقته.

ولقد كشف الله ﷻ بعضاً من الأسرار الأحمدية والحقيقة المحمدية المودعة في كتابه العزيز لخواص عباده من أهل حضرته، الذين تعلقوا بالحبيب الأعظم وتحققوا به وصاروا نواباً عنه ووراثا له فأمدهم بأنواره وكشف لهم عن شذرات من حقيقته المحمدية المودعة في آيات القرآن الكريم، فذكروها لأحبابهم وسطروها في كتبهم ليرتشف منها كل عاشق للجناب العالي ﷺ.

ولقد منَّ الله ﷻ علينا بكتابة هذا السفر الصغير حجمه العظيم قدره ومنزلته؛ لأنه تعلق بصاحب القدر العظيم ﷺ، وذكرنا فيه إشارات لبعض مقاماته ﷺ وكمالاته في جميع أطواره، حيث بدأنا بطَور النور المحمدي وهو المخلوق الأول الذي جعله الله تعالى مادة خلق العوالم، ثم طَور الروحانية المحمدية الممدة لجميع العوالم بالرحمة، فهو ﷺ علة الإيجاد وسر الإمداد، ثم تكلمنا عن طَور شهوده على الأكوان من البَدء إلى الأبد، ومن ثَمَّ طَور البشرية وإثبات نبوته منذ خلق حقيقته ﷺ وأثبتنا النور المحمدي الذي تجسد في عالم الملك بهذه البشرية الشريفة، وأثبتنا علومه الغيبية في حال البشرية، ومن ثَمَّ طَور الحياة البرزخية وأثبتنا حياته ﷺ في برزخه واطلاعه على الأكوان مستدلين على ذلك كله بآيات من القرآن الكريم وأحاديث سيد المرسلين وأقوال الأولياء والعارفين بالله.

فيا أيها القارئ الحبيب تعلق بالحبيب الأعظم وتحقق به حتى يكشف الله ﷻ لك عن شعاع من حقيقته ﷺ فتسعد به في الدارين، ولا تنكر هذه الخصائص والكمالات فتكون من الذين قال الله ﷻ فيهم ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٩].

فما سطرناه في هذا السفر المبارك وكل ما كتبه العارفون بالله في كتبهم وصلواتهم وقصائدهم ومناجاتهم ومواقفهم ما هي إلا قطرة من حقيقته ﷺ التي لا يدركها إلا مولاه.

ونسأل الله ﷻ أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينال رضى رسوله الكريم ﷺ، وأن يمدنا بمدده فنكمل هذه السلسلة المباركة المتعلقة بالجناب العالي ﷺ، وأن يوفقنا لإصدار الكتاب الثاني «**إشارات العارفين في تنزيه الأنبياء والمرسلين**» وقد صنفناه دفاعا عن سادتنا الأنبياء عليهم السلام وغيرة على مقامهم العالي، وتنزيها لهذا المقام مما نُسب إليهم من بعض المفسرين الذين أثبتوا الذنب والمعصية والهوى وتسلط الشيطان على الأنبياء، ورددنا تلك الأقوال بأقوال أهل التحقيق من المفسرين وكبار العارفين بالله كسيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي محي الدين بن عربي وسيدي عبد الوهاب الشعراني وسيدي الإمام الرازي وغيرهم من علماء السلف رضي الله عنهم أجمعين، ومن المعاصرين كسيدي الشيخ الشعراوي، وسيدي الشيخ علي جمعة، وسيدي الشيخ يسري جبر الحسني، ومفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي، وذكرت فيه أقوال مشايخي ومددي وسندي العارف بالله الشيخ حسين الحلَّاب والعا رف بالله الشيخ حسن الحلَّاب رضي الله عن

الجميع فنسأله تعالى أن تكون خالصة لوجهه وأن يمدنا بمدده وتوفيقه لإظهار كل ما يتعلق بالجناب العالي وأن ينفعنا بها وينتفع المسلمون بها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي الختام ما كان من صواب وخير فمن الله ﷻ ومنِّه وفضله وكرمه، وبمدد حبيبه ﷺ، وما كان من خطأ وتقصير فمني، وأستغفر الله العظيم من ذلك وأتوب إليه.

الفقير إلى مولاه

خلدون أمين الهيتي القادري

الطَور الأول

طَور النور المحمدي

النور المحمري أول المخلوقات:

تكلم العارفون بالله عن هذا الأمر كثيرا في كتبهم وقصائدهم ومواقفهم وصلواتهم، وقالوا: إنَّ أول ما خلق الله تعالى النور المحمدي ومنه خُلقت الأكوان وكملت الأركان، واختلفت عبارات العارفين في التعبير عن هذا الأمر نثرا وشعرا. ونحن هنا في صدد تقرير هذا الأمر بالأدلة من الكتاب والسنة.

١- قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور:٣٥].

قال البغوي: «وَقَعَ هَذَا التَّمْثِيلُ لِنُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِكَعْبِ الْأَحْبَارِ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ قال كَعْبٌ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالْمِشْكَاةُ صَدْرُهُ وَالزُّجَاجَةُ قَلْبُهُ، وَالْمِصْبَاحُ فِيهِ النُّبُوَّةُ تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ هِيَ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، يَكَادُ نُورُ مُحَمَّدٍ وَأَمْرُهُ يَتَبَيَّنُ لِلنَّاسِ وَلَوْ لَمْ يَتَكَلَّمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ كَمَا يَكَادُ ذَلِكَ الزَّيْتُ يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ. وَرَوَى سَالِمٌ عَنِ

ابْنِ عُمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: الْمِشْكَاةُ جَوْفُ مُحَمَّدٍ وَالزُّجَاجَةُ قَلْبُهُ وَالْمِصْبَاحُ النُّورُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ، لَا شرقية ولا غربية، لا يهودي ولا نصراني، تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ إِبْرَاهِيمُ نُورٌ عَلَى نُورٍ قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ وَنُورٌ قَلْبُ مُحَمَّدٍ ﷺ» أه[١].

وقال السمرقندي: «اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يعني: الله مرسل الرسل إلى أهل السموات وأهل الأرض مَثَلُ نُورِهِ يعني: مثل نور محمد ﷺ، فسماه نورا كقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة:١٥]. ثم قال: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ، يعني: مثل نور محمد ﷺ في صلب أبيه» [٢]

وقال سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: في هذه الآية « في المشكاة إشراق الوحي، ومصباح الزجاجة إبلاغ ما يوحى إليه، نور على نور إذ سطع نور النبوة في زجاجة مشكاة القلب، جليت مرآة فؤاده فأبصر بها غائب الغيب، خوطب بلسان بلغ فانخرق لعين عقله منفذ إلى الملأ الأعلى، وعُرضت عليه مخبآت لطائف الأزل فصار ترجمانا بين الحادث والقديم»[٣].

قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: قال تعالى: «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» فشبه نوره بالمصباح. فلم يكن أقرب إليه تعالى قبولا في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ المسماة بالعقل. فكان سيد العالم بأسره، وأول ظاهر في الوجود. فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية. وفي الهباء وجد عينه، وعين العالم من تجليه، وأقرب الناس إليه علي بن أبى طالب، وأسرار الأنبياء»[٤].

(١) تفسير البغوي ج٣ ص٤١٧.

(٢) تفسير السمرقندي ج٢ ص٥١٤.

(٣) بهجة الاسرار ومعدن الانوار في مناقب الباز الاشهب الشيخ عبد القار الجيلاني ص ٢٩٤.

(٤) الفتوحات المكية ج٢ص١٣٦.

وأشار إلى هذا المعنى مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي في تسبيعه لقصيدة البردة:

محمدٌ نـورُهُ المِشكاةُ والقبسُ لو أنَّ موسى رآهُ راحَ يقتبسُ
هو الهدى والهوى والروحُ والنَّفَسُ وبشرُهُ في وجوهِ الرسلِ مُنعكسُ
وهم هداةٌ إذا ما الناسُ قد يئسوا وكُلُّهُم من رسـولِ اللهِ ملتَمِسُ
غرفاً من البحرِ أو رشفاً من الدِيَمِ

وقال الشيخ الدكتور يسري جبر في تفسير هذه الآية: «**أي هو** ﷻ منور السموات والأرض، ومُظهرهُا، مثلُ نوره الذي أظهر به السموات والأرض وهو (النور المحمدي) الذي خلقه. ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور:٣٥].، وهو المنير في ذاته، وفي قراءة (دريء) وهو المنير لغيره. فنوره الذي خلقه ونسبه إليه تشريفا هو سيدنا محمد ﷺ فهو نور الشريعة ونور الحقيقة يهدي الله لنوره من يشاء».

وللآية معنى ثان، وهو أن النور الأول في قوله (الله نور السموات) نور قديم، لأن الصفة قديمة ومن أسمائه النور، والنور الثاني في قوله مثل نوره نور حادث ، أي مثل نوره الذي أخرج به العوالم من العدم إلى الوجود، وهو النور المحمدي المخلوق، ونسبه إلى نفسه تعظيما وتشريفا، والنور الثالث في قوله يهدي الله لنوره من يشاء وهو نور الهداية الذي لا يصل إليه إلا أهل اليمين.

والإشارة في قوله (كمشكاة فيها مصباح يشير إلى جدار الغيوب، فلما أراد الله تعالى أن يظهر بعض الغيوب جعل في جدار الغيب مشكاة، ووضع فيها مصباحا، أضاء به ومن خلاله ما أراد أن يظهره من الغيوب.

فالجدار هو جدار الغيب، والمشكاة هي صدر النبي صلى الله عليه وسلم، والمصباح هو قلب النبي صلى الله عليه وسلم الذي أضاء العوالم وأخرجها من العدم إلى الوجود

ولقد أشار الشيخ يسري ﷺ: إلى هذا المعنى في صلواته **«الصلوات اليسرية على خير البرية»** فقال «اللَّهُمَّ يَا نُورُ، يَا مَنْ أَظْهَرْتَ الْمَظَاهِرَ بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نُورِ الْوُجُودِ، وَمَا حَجَبَكَ إِلَّا شِدَّةُ الظُّهُورِ،صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ النُّورِ، وَعَلَى آلِهِ، الَّذِي كَانَ نُورًا خَلَقْتَهُ؛ لِتُخْرِجَ بِهِ الْأَكْوَانَ مِنْ ظُلْمَةِ الْعَدَمِ إِلَى نُورِ الْوُجُودِ،ثُمَّ لِتُمِدَّ بِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ بِأَسْبَابِ بَقَائِهِ وَهِدَايَتِهِ،وَتُنَوِّرَ بِهِ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ بِأَنْوَارِ الإِسلام وَالْإِيمَانِ،وَتُنَوِّرَ بِهِ الْقُلُوبَ مِنْ ظُلْمَةِ الْأَغْيَارِ بِأَنْوَارِ الْإِيقَانِ وَالْعِرْفَانِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، صَلَاةً تُنَوِّرُ بِهَا قَلْبِي وَبَصَرِي وَبَصِيرَتِي، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]، ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥] فَاجْعَلْنِي مِنْ هَؤُلَاءِ بِفَضْلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ»[1].

قلت: ويكون المعنى لهذه الآية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي الله ﷻ منور السموات والأرض بعد أن كانت عدماً، فأوجدها وأظهرها بالنور المحمدي المشار إليه بقوله :﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ الذي خلقه فنور به السموات والأرض ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾إشارة إلى الجسد المحمدي ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ إشارة إلى قلبه ﷺ ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾إشارة إلى صدره الشريف ﷺ ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾فهو المضيء في ذاته والمضي لغيره، فأضاء الله به الأكوان، وأضاء الله به الطريق لمن أراد الوصول إليه، ﴿يُوقَدُ﴾مِن أي يَمد الله هذا الجسد والصدر والقلب بالأنوار والأسرار والوحي من ﴿شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا

(١) الدرر النقية في أوراد الطريقة اليسرية الصديقية ص١٥١.

﴿شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فهذا النور المبارك لا ينقطع لأن مصدره من الله تعالى، لا من الشرق فيغرب ولا من الغرب فيغيب، ولكن يمده بالأنوار من كل الجهات وفي كل الأزمنة، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لأنه نور ذاتي تتخلله الرحمة فصار رحمة للعالمين، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي نور الحق على نور الحقيقة المحمدية، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله لنور الحقيقة المحمدية من يشاء من أهل التحقيق، ويهدي من يشاء من أهل الإسلام إلى الإسلام فيسلم، ومن أهل الإيمان فيترقى به إلى أعلى مقامات الإيمان، ومن أهل الإحسان فيصلون به إلى مقام **(أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فإنه يراك)**، فيهدي الله أهل المقامات الثلاث إلى أن يتعرفوا عليه ويستمدوا منه كل على حسب حاله ومقامه.

وهناك وجه بين نوره ﷺ ونور المصباح الذي في المشكاة، وهو أنه لولا نور المصباح الذي في الزجاجة التي في المشكاة ما ظهرت الأشياء في الغرفة المظلمة، وكذلك لولا نوره ﷺ ما ظهرت الأشياء من العدم إلى الوجود ولا شُوهدت.

وهذا النور الذي أنار الله به الأكوان وهداها هو المُشار إليه في قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ»[1] فمن أصابه رشاش هذا النور المحمدي ظهر واهتدى واقتدى وقال (بلى) يوم ألست بربكم، ومن لم يصبه هذا النور اختفى ومنع من الظهور، وضل ومُنع من التلبية والاستجابة يوم ألست بربكم.

٢- قال الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

---

(١) الترمذي (٢٦٤٢).

وهذه النفس لها معنيان:

المعنى الأول: هو سيدنا محمد ﷺ حيث له الأولية المطلقة في الخلق، ومن نوره خلقت الأكوان، وبمدد روحانيته قامت الأكوان، ولقد ورد في الخبر عن جابر بن عبد الله قال قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال: **«نور نبيك يا جابر»**[1]، وهو الأب الروحي للأكوان لأنه ﷺ القائل «أنا منكم بمنزلة الوالد من ولده»[2]، وقال ابن الفارض في تائيته مشيرا إلى هذا المعنى:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

المعنى الثاني: هذه النفس سيدنا آدم عليه السلام، ولا تضارب بين المعنيين، فسيدنا محمد ﷺ له الأولية المطلقة، وأولية سيدنا آدم عليه السلام أولية إضافية. وإلى هذا المعنى أشار العارفون في كتبهم، وسنذكر أقوالهم فيما يلي:

قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي «لما كان الهباء أصل الوجود، وتجلى له اسمه تعالى النور، من حضرة الجود كان الظهور، فقبلت صورته عن من هذا الهباء فيض ذلك النور، فظهرت صورة مثلية، مشاهدها عينية، ومشاربها غيبية، وجنتها عدنية، و معارفها قلمية، وعلومها يمينية، و أسرارها مدادية، وأرواحها لوحية، وطينتها آدمية، فهو ﷺأب لنا في الروحانية، كما كان آدم صلى الله عليه أباً لنا في الجسمية، قال ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه **«أول ما خلق الله نور**

(١) حديث جابر اورده العجلوني في كشف الخفاء (٨٢٧)، ابن حجر الهيثمي في كتابه (المنح المكية في شرح الهمزية ص٩٤) علي القاري في مرقاة المفاتيح (١/ ٢٤٠) النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن (سورة البقرة آية ١٢٧) تفسير الشيخ الشعراوي في تفسير سورة المائدة في قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) المجلد ٥ ص٤٠١.

(٢) أبو داوود(٨): عن اب هريرة قال: قال النبي ﷺ (انما انا منكم بمنزلة الوالد، اعلمكم فاذا جاء أحد منكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها)و البغوي في شرح السنة (١٧٣)

نبيك يا جابر» فكان ﷺ النفس الواحدة التي خلق منها زوجها، و به وجد الوجود، فآدم زوجها من وجه، لأنه أكمل مخلوق مقابل لها في الوجود، فهو بهذه النسبة أم، ثم هو أب بالنسبة إلى ذريته وحواء أم، فهي زوجة، فإن رسول الله ﷺ له أبوة النبوة، كما أن آدم عليه السلام له أبوة الطين، قال ﷺ: **« كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»** فكان ﷺ النفس الواحدة التي خلق منها زوجها، فإنه ما من نبي من آدم إلى عيسى يأخذ إلا من مشكاته، التي هي فلك الرحمة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فهو نازل من حيث روحانيته إلى كل نبي لما أنزل إليه إن فهمت وإن تأخرت طينته، وذلك معنى قوله: **« كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»** ولذلك تأخر وجود طينته إلى ختم النبوة، فإن البداية هي النهاية، وغيره ما كان نبياً إلا بعد استعداده لنزوله عليه، فكان نبياً حين بعث بفيض الحياة من مشكاته، و لم يتحقق بها ما تحقق بها ﷺ، وقد نبه على ذلك بقوله: **«مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى قصراً أحسن بنيانه، وترك فيه موضع لبنة، فطاف بها النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل»** وفي رواية «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» ومما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سألت رسول الله عن أول شيء خلقه الله تعالى فقال: هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله تعالى، ثم خلق فيه كل خير، وخلق بعده كل شيء الحديث بطوله.

إشارة: قوله تعالى ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء:١]، وقوله تعالى ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، دليل على أن الأجسام من جسم واحد، والأرواح من روح واحدة، تنبيه على أن العالم وجد من واحد، لا إله إلا هو العليم القدير»[1].

---

(١) رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ج١ ص٤٩٢.

قال نجم الدين الأسدي» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، إشارة في الآية: أن الله تعالى يذكر الناس ببدء خلقتهم بالأشباح والأرواح بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، فإنهم كما خلقوا بالأشباح عن نفس واحدة وهي شبح آدم عليه السلام، كذلك خلقوا بالأرواح عن نفس واحدة وهي روح محمد صلى الله عليه وسلم، لقوله: «**أول ما خلق الله روحي**»، فكما أن آدم عليه السلام بالشبح كان أبا البشر، كان محمد صلى الله عليه وسلم بالروح أبا الروح، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]؛ وهي النفس، خلقها من أدنى شعاع من أشعة أنوار روح محمد صلى الله عليه وسلم»[١].

قال البقلي في تفسيره «وذلك المُبدَع هو أحمد صلوات الله عليه حيث قال «**أول ما خلق الله نوري**» فكنت كذا وكذا، حتى ذكر أن من العرش إلى الثرى خلق من نوره، وهو أدم الأول الذي قال تعالى «خلقكم من نفس واحدة» ثم جمع الأرواح والأشباح والأنوار والأسرار فى قبضة عزته، وخمرها بطينة أدم فى أربعين ألف صباح من صبح الآزال والآباد، حتى خلقه بخلقه، وانشأه بروحه فقال ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[ص:٧٢] فباشرت فيه يد الأزل والأبد، وظهر فيه قدس القدم بجميع الأسماء والصفات والنعوت والأفعال، فصوره بصورة الملك، فتتشعب منه أماكن أسرار القديم من خلق الأولين والأخرين، وهو صورة عين الجمع التى أظهر الحق منها أوصاف قدمه، ألا ترى إلى قول سيد البشر صلوات الله عليه كيف قال فى المتشابهات «**إنَّ الله خلق أدم على صورته**» وهو أدم الثاني»[٢].

(١) التأويلات النجمية ج٢ ص١١٣.

(٢) عرائس البيان في حقائق القرآن ج١ ص٢٣٠.

قال الشيخ عبد القادر الجزائري» خلقكم من نفس واحدة، حقيقة واحدة هي «الحقيقة المحمدية» المسماة بالعقل الأول وبالقلم الأعلى، فالمخلوقات كلها منها، إلى غير نهاية... فهي الأصل والمنبع، فهي «**دواة العالم**»، والعالم جميعه الحروف المستخرجة منها، سواء المخلوقات الروحانية والجسمانية الطبيعية والعنصرية.

وقوله«وخلق منها زوجها» ف «الواو» لا تفيد ترتيباً. فإن خلق الزوجة مقدم، وهي «النفس الكلية» المسماة باللوح المحفوظ، خلقها منه، كما خلق حواء من آدم عليه السلام. يقول الشيخ محيي الدين ﷺ: «النفس خطرة من خطرات العقل الأول، وهي محل تفصيل ما أجمل في العقل الأول من العلوم» [١].

٣- قال الله ﷻ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١] أي أنا أول العابدين حيث كنت روحا بين يدي ربي فلم أرَ والداً ولا ولداً كما تدَّعون.

قال علاء الدين الخازن «معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الرّحمن فإنه لا شريك له ولا ولد له»[٢].

قال ابن عجيبة: قال جعفر الصادق: أول ما خلق الله نور محمد ﷺ قبل كل شيء، وأول مَن وحّد الله عزّ وجل من خلقه، دُرة محمد ﷺ، وأول ما جرى به القلم « لا إله إلا الله محمد رسول الله ». ه. قاله الورتجبي. ففي الآية إشارة إلى أسبقيته ﷺ وأنه أول تجلٍّ من تجليات الحق، فمِن نوره انشقت أسرار الذات، وانفلقت أنوار الصفات، وامتدت من نوره جميع الكائنات.»[٣].

---

(١) المواقف ج١ ص ٣٠٢، الموقف ١٥٥.

(٢) تفسير الخازن ج٤ ص١١٤.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٧ ص٥٧

قال الشيخ رافع الرفاعي مفتي الديار العراقية: نزلت هذه الآية محاجة للنصارى الذين قالوا إنَّ عيسى ابن الله.

والأولية مشترك لفظي بين معنيين، الأول: أولية الوجود، والثاني: أولية الرتبة، والنبي ﷺ له الأوليتان، فإن كنتم تقولون إنَّ عيسى هو ابن الله، فأنا أعلى منه وجوداً ورتبةً. وقال الله تعالى ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[مريم:٩٣]، والنبي ﷺ الأول في وجوده من المذكورات في الآية والأعلى رتبةً فيها بتحقق العبودية، وهذا ما نلتمسه في قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[الإسراء:١]، ولم يصرح باسمه ﷺ، وكذلك في قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[الجن:١٩]، واختصاصه بعدم الذكر دون غيره من الأنبياء والمرسلين الذين هم خيرة الله من خلقه، فيه دليلٌ على علو منزلتهِ عليهم ورفعةِ مقامهِ فيهم.

فلِمَ اخترتم عبداً من عباده تعالى وادعيتم أنه ولدٌ لله، وهو أدنى في عبوديته من رسول الله ﷺ، وكان الأولى أن تقولوا محمد ابن الله لتحقق الكمال فيه، ولمَّا لم يكن سيدنا محمد ﷺ ابناً لله وإنما عبداً لله ورسوله فادعائكم باطلٌ من باب أولى.

وأشار الشيخ الدكتور يسري جبر الحسني في صلواته (الصلوات اليسرية) إلى هذا المعنى فقال «اللَّهُمَّ يَا أول يَا آخِرُ، أنت الْأَبَدِيُّ الْأَزَلِيُّ الْبَاقِي السَّرْمَدِيُّ الدَّيْمُومِيُّ، قَهَرْتَ الزَّمانَ بِالْأَوَّلِيَّةِ، وَقَهَرْتَ الْفَنَاءَ بِالْآخِرِيَّةِ،صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ الأول الْآخِرِ، وَعَلَى آلِهِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ أول النَّاسِ خَلْقًا، وَآخِرَهُمْ بَعْثًا،وَجَعَلْتَهُ فَاتِحًا وَخَاتِمًا،فَهُوَ أول الْمُسْلِمِينَ، وَأَوَّلُ الْعَابِدِينَ، وَأَوَّلُ

مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ،وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ،وَآخِرُ الْمُرْسَلِينَ بَعْثًا وَمِنْهَاجًا،وَكِتَابُهُ آخِرُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ،صَلَاةً تَكُونُ لِي بِهَا يَا اللهُ أول مَنْ أَرْجِعُ إليه فِي كُلِّ أُمُورِي،فَإِلَيْكَ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ،وَتُؤَخِّرُ نَفْسِي وَهَوَايَ فَلا أَعْصِيكَ،وَأَكُونَ أول السَّبَّاقِ إلى الْخَيْرِ،وَتُؤَخِّرَنِي عَنْ كُلِّ وَصْفٍ وَفِعْلٍ يُبْعِدُنِي عَنْكَ، يَا أول يَا آخِرُ يَا اللهُ.»[1].

٤- قال الله ﷻ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣]، أثبت الله تعالى أنَّ السموات والأرض وما فيهن أسلموا طوعا وكرها، وأول من أسلم هو سيدنا محمد ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣]، وقوله تعالى في آية أخرى ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر:١٢].

قال القرطبي «أَنَّهُ أَوَّلُ الْخَلْقِ أَجْمَعُ مَعْنًى، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (**نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**). وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ (**نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أهل الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ**)، أَنَّهُ أَوَّلُهُمْ لِكَوْنِهِ مُقَدَّمًا فِي الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:» وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ». قَالَ قَتَادَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ. فَلِذَلِكَ وَقَعَ ذِكْرُهُ هُنَا مُقَدَّمًا قَبْلَ نُوحٍ وَغَيْرِهِ**.»[2].

وقال السمرقندي «أول المسلمين يوم الميثاق»[3].

---

(١) الدرر النقية في أوراد الطريقة اليسرية الصديقية ص١٤١.

(٢) تفسير القرطبي ج٧ ص١٥٥.

(٣) تفسير السمرقندي ج١ ص٥٠٠.

قال العلامة الألوسي «هذا إشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام أول ما خلق الله تعالى نوري»[١].

وقال الشيخ الشعراوي «قد تكون الأولية في الزمن، وقد تكون الأولية في مقارنة الأزمان بعضها ببعض، فإذا قال رسول الله من الرسل: أنا أول المسلمين، فالمراد أول المسلمين في زمانه، وإذا قال محمد ﷺ أنا أول المسلمين فالمراد أول المسلمين من لدن آدم إلى قيام الساعة، يعني: أنا وإن تأخر زمني إلا أنني الأول إذا أخذنا الرتبة ساعة التكليف، ثم إنّ غيري من الرسل بعث إلى زمن بعينه في مكان بعينه، وأنا بعثت للناس كافة في كل زمان ومكان، ثم إنني خاتم الرسل، فلا رسالة بعدي ولا معقب من الرسل على رسالتي، هذه كلها حيثيات الأولية عند رسول الله، وهي حيثيات ظاهرة لا تنكر، لذلك نجد الأولية دائما على لسان رسول الله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف:٨١].

قلت: وبهذا نستدل على أنه أول المخلوقات خلقا فكان أول المخلوقات إسلاما، ولم يقل أحد أنا أول المسلمين إلا نبينا ﷺ.

والى هذا المعنى أشار شيخنا الدكتور يسري جبر الحسني في صلواته المسماة (الصلوات اليسرية على خير البرية) فقال «اللَّهُمَّ يَا مُجِيبُ، صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، عَبْدِ الْمُجِيبِ، وَعَلَى آلِهِ، أول مُجِيبٍ لِنِدَاءِ (كُنِ) الْمُوَجَّهِ لِلْمَعْلُومِ الْمَعْدُومِ الْمُرَادِ إِيجَادُهُ، فَكَانَ أول مَوْجُودٍ، وَأَوَّلَ مُجِيبٍ لِلْعَهْدِ الأول يَوْمَ (ألست بربكم) فَقَالَ: بَلَى، وَأَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَوَّلَ الْعَابِدِينَ، وَأَوَّلَ مُجِيبٍ لِنِدَاءِ

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٨ ص٧١

الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ بِقَوْلِ: «أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أول مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أول شَافِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»(١) صَلَاةً تُورثني بِها إِجَابَةً لِكُلِّ دَاعٍ لِلْخَيْرِ، فَأَكُونَ أَهْلًا لاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَقَبُولِ الرَّجَاءِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ يَا مُجِيبُ يَا اللهُ.»(٢).

٥- قال الله ﷻ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ومن المعلوم أنَّ كل ما سوى الله يسمى عالم، قال الشيخ أحمد الدردير في الخريدة البهية:

ثم اعلمنْ بأنَّ هذا العالما أي ما سوى الله العليّ العالما

وقال الطاهر بن عاشور «والتعريف فِي لِلْعالَمِينَ لِاسْتِغْرَاقِ كُلِّ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْعَالَمِ»(٣)، انتهى.

ومادام الله تعالى جعله رحمة للعوالم، فلزم وجوده قبل خلق العوالم لكي يُمد العوالم بهذه الرحمة، فيخرجها من العدم للوجود على وفق علمه بتوجه مشيئته لتخصيص قدرته، فيتم المراد على وفق الإرادة الإلهية، فلما أراد الله تعالى أن يوجد العوالم على الوجه الأكمل، خلق النور المحمدي فتمثل في الروحانية المحمدية فأمد العوالم بسريان هذه الرحمة فيها فوجدت على الوجه الأكمل، وإليك بعض أقوال أهل التفسير في تفسير هذه الآية.

قال المظهري «الحقيقة المحمدية عند أهل التحقيق هو التعين الأول بفيوض الوجود ومراتب القرب، ومنها مرتبة كونه يوحى إليه كليما لله لا يصل

(١) أخرجه الستة إلا البخاري بألفاظ متقاربة أقربها لفظ ابن ماجه (١٣/ ٢٢) برقم (٤٤٥٠).

(٢) الدرر النقية في أوراد الطريقة اليسرية الصديقية ص١٢٦.

(٣) التحرير والتنوير ج١٧ ص١٦٦.

فى أحد إلا بتوسط الحقيقة المحمدية، وهذا أمر كشفي ويشهد من النصوص قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

قال ابن عجيبة «قال الشيخ أبو العباس المرسي رضى الله عنه: الأنبياء- عليهم السلام- خُلقوا من الرحمة، ونبينا ﷺ هو عين الرحمة»(١).

وقال السمرقندي «لِلْعالَمِينَ أي لجميع الخلق، لأن الناس كانوا ثلاثة أصناف: مؤمن، وكافر، ومنافق. وكان رحمة للمؤمنين، حيث هداهم طريق الجنة، ورحمة للمنافقين، حيث أمنوا القتل، ورحمة للكافرين بتأخير العذاب. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «**من آمن بالله ورسوله فله الرحمة فِي الدنيا والآخرة، وَمِنَ لم يؤمن بالله ورسوله عوفي أن يصيبه ما كان يصيب الأمم قبل ذلك، فهو رحمة للمؤمنين والكافرين**». وذكر في الخبر: أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لجبريل عليه السلام: «يقول الله عز وجل: وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ، فهل أصابك من هذه الرحمة؟ قال: «نعم أصابني من هذه الرحمة. أني كنت أخشى عاقبة الأمر، فآمنت بك لثناء أثنى الله تعالى عليَّ بقوله عز وجل: ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ»(٢)

وقال العلامة الألوسي «وكونه ﷺ رحمة للجميع باعتبار أنه عليه الصلاة والسلام واسطة الفيض الإلهي على الممكنات على حسب القوابل، ولذا كان نوره ﷺ أول المخلوقات، ففي الخبر أول ما خلق الله تعالى نور نبيك يا جابر، وجاء «**الله تعالى المعطي وأنا القاسم**»

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٣ ص٥٠٧.

(٢) تفسير السمرقندي ج٢ ص٤٤٥.

وللصوفية قدست أسرارهم في هذا الفصل كلام فوق ذلك، وفي مفتاح السعادة لابن القيم أنه لولا النبوات لم يكن في العالم علم نافع البتة ولا عمل صالح ولا صلاح في معيشة ولا قوام لمملكة ولكان الناس بمنزلة البهائم والسباع العادية والكلاب الضارية التي يعدو بعضها على بعض، وكل خير في العالم فمن آثار النبوة وكل شر وقع في العالم أو سيقع فبسبب خفاء آثار النبوة ودروسها فالعالم جسد روحه النبوة ولا قيام للجسد بدون روحه، ولهذا إذا انكسفت شمس النبوة من العالم ولم يبق في الأرض شيء من آثارها البتة انشقت سماؤه وانتثرت كواكبه وكورت شمسه وخسف قمره ونسفت جباله وزلزلت أرضه وأهلك من عليها فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة اه»[1].

وقال إسماعيل حقي «قال بعض الكبار وما أرسلناك إلا رحمة مطلقة تامة كاملة عامة شاملة جامعة محيطة بجميع المقيدات من الرحمة الغيبية والشهادة العلمية والعينية والوجودية والشهودية والسابقة واللاحقة وغير ذلك، للعالمين جمع عوالم ذوى العقول وغيرهم من عالم الأرواح والأجسام، ومن كان رحمة للعالمين لزم ان يكون أفضل من كل العالمين،.....

ثم قال: قال فى عرائس البقلي» أيها الفهيم إن الله أخبرنا أن نور محمد عليه السلام أول ما خلقه ثم خلق جميع الخلائق من العرش إلى الثرى من بعض نوره، فأرساله إلى الوجود والشهود رحمة لكل موجود إذ الجميع صدر منه، فكونه كون الخلق وكونه سبب وجود الخلق وسبب رحمة الله على جميع الخلائق، فهو رحمة كافية وافهم أن جميع الخلائق صورة مخلوقة مطروحة فى فضاء القدرة

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٩ ص١٠٠.

بلا روح حقيقة منتظرة لقدوم محمد عليه السلام فإذا قدم إلى العالم صار العالم حيا بوجوده؛ لأنه روح جميع الخلائق.»[١].

قال محمد عبد الكبير الكتاني: «ما ثمَّ مدد ولا رزق من الأرزاق المعنوية يخرج لأحد، ولو لأبي البشر إلا على يديه ﷺ وبه، فهو القائل«**وما من نبي آدم فمن دونه إلا تحت لوائي**» وذلك لأنه البرزخ الجامع.

فجميع الإمدادات الخارجة للعالم العلوي بجميع طبقاته والعالم السفلي على مراتبه ليست من غير حقيقة برزخية أحمديته، فالكل إليه مستند ﷺ وبه»[٢].

قلت: وعن علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أنَّ النبي ﷺ قال: «**كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام**»[٣].

وعن جابر بن عبد الله قال قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وامي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال: «**نور نبيك يا جابر**»[٤] ونقول لمن يقول إنَّ هذا الحديث ضعيف، إنَّ العلماء والمفسرين يعلمون بضعفه، لكنّهم أوردوه في كتبهم لعلمهم أنَّ الحديث إذا وافق آية قرآنية انتقل من الضعيف إلى الحسن لغيره، وكما نرى أنَّ الحديث وافق الآية التي ذكرناها أولا، وتقوى بحديث علي بن الحسين الذي ذكرناه ثانيا، وأيضا أنَّ الله تعالى

(١) روح البيان ج٥ص٥٢٨.

(٢) الطلاسم في الكمالات المحمدية ص٥١.

(٣) أورده العجلوني في كشف الخفاء (٨٢٧، ٢٠٠٧) وأورده القسطلاني في (المواهب اللدنية بالمنهج المحمدية) ج١ ص٤٩ (باب تشريف الله تعالى له، وأورده الشيخ المحدث عبد الله سراج الدين في كتابه (هدى القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان ص٢٠٦).

(٤) حديث جابر اورده العجلوني في كشف الخفاء (٨٢٧)، ابن حجر الهيثمي في كتابه (المنح المكية في شرح الهمزية ص٩٤) علي القاري في مرقاة المفاتيح (١/ ٢٤٠) النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن (سورة البقرة آية ١٢٧) تفسير الشيخ الشعراوي في تفسير سورة المائدة في قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) المجلد ٥ ص٤٠١.

وصف نبيه بالنور في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥]، وقال ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري**»[١]، وعن عن قتادة قال: كان النبي ﷺ إذا قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب:٧] يقول: **بدئ بي في الخير، وكنت آخرهم في البعث** »[٢]. وعن أبي هريرة ﷺ قال إنَّ النبي ﷺ سأل جبريل فقال: «**يا جبريل كم عمرت من السنين؟ فقال يا رسول الله لست أعلم، غير أنَّ في الحجاب الرابع نجم يطلع في كل سبعين ألف سنة، ورأيته اثنين وسبعين مرة، فقال ﷺ :يا جبريل وعزة ربي، أنا ذلك الكوكب**»[٣].

وقوله ﷺ: (**جعلني فاتحاً وخاتماً**)[٤] أي افتتح بي الوجود وختم بي الرسالات. وفي حديث الشفاعة الذي يرويه ابن أبي شيبة في مصنفه عَنْ سَلْمَانَ « فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا كَلِمَةَ الله وَرُوحَهُ ،قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ،فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا ،فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، وَلَسْتَ بِذَاكَ ،فَأَيْنَ الْفَعْلَةُ ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى مَنْ تَأْمُرُنَا ؟ فَيَقُولُ: ائْتُوا عَبْدًا فَتَحَ اللهُ بِهِ وَخَتَمَ ،وَغَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ،وَيَجِيء فِي هَذَا الْيَوْمِ آمِنًا. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ: يَا نَبِيَّ اللهِ أنت الذي فَتَحَ اللهُ بِكَ وَخَتَمَ وَغَفَرَ لَك مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ

(١) أورده علي القاري في مرقاة المفاتيح الفصل الثاني ج١ ص٢٧٠، والحلبي في السيرة الحلبية ج١ ص٢٤٠، والنيسابوري في تفسيره غرائب القران في تفسير الآية ١٢٧ من سورة البقرة، والإمام الفاروقي في مكتوباته المجلد ٣ ص١٧٤ المكتوب ١٢١، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ج١ ص٥٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٢٤).

(٣) أورده علي الحلبي في السيرة الحلبية ج١ ص٢١٤

(٤) البيهقي في شعب الايمان (٤٨٣٧)، البزار في مسنده (٩٥١٨) بلفظ (وجعلتك فاتحا وخاتما)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٠١٦٣)،

،وَجِئْت فِي هَذَا الْيَوْمِ آمِنًا ،وَقَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَاشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّنَا ،فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكُمْ»(١).

وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضا، وتتقوى جميعها بموافقتها للآيات القرآنية.

٦- قال الله ﷻ ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤]، والإشارة في قوله تعالى:﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ والنبي ﷺ يقول: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة**»(٢)، ويقول ﷺ: «**جعلني فاتحا وخاتما**»، ويقول: «**أنا أول النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِى وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّى وَلاَ فَخْرَ**»(٣) فإذا جمعنا بين قول الله ﷻ وقول النبي ﷺ سيتبين لنا أنه ﷺ أول الخلق في الأكوان. فكانت الإعادة صورة للبداية فلما كان ﷺ الأول في الإعادة دل على أنه كان الأول في البداية :﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ وأولية الخلق من حيثُ الحقيقةُ الروحانية لا من حيثُ الصورةُ البشريةُ، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع**»(٤). فله أولية في الخلق وفي البعث وفي الشفاعة وفي دخول الجنة.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٣٣٣).

(٢) البخاري (٢٤١٢)، الترمذي (٣١٤٨).

(٣) الترمذي (٣٩٩٦)، والدارمي (٥٠)، وأحمد (٣٩٨).

(٤) أبو داود (٤٦٧٣) والترمذي (٣١٤٨) وابن ماجة (٤٣٠٨) واحمد (١٠٩٧٢).

الطَور الثاني

طَور الروحانية المحمدية

إثبات النبوة في طور الروحانية:

أثبتنا بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة أنَّه ﷺ نبي من عالم الذر، والنبي لا يكون نبياً إلا بوحي وكتاب وبإعلام الله تعالى له، فيصير عارفا بالله تعالى وبصفاته وأسمائه وتجلياته، وهذا ما سنبينه في هذا المبحث:

١- قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠].

الإشارة هنا في كلمة (ربك) فالخطاب متوجه للروحانية المحمدية؛ لأن له الحظ الأعظم من هذه الخلافة، فهو الخليفة الأعظم، وهو الأب الروحي للأكوان، قال ابن الفارض في تائيته مشيرا إلى هذا المعنى:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

وقال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي رضي الله عنه: «قرن التعريف لمحمد ﷺ بالاسم الرب الذي هو المصلح، وأضافه إلى سيدنا محمد ﷺ اعتناءً به أنه المقصود من هذه النشأة، إذ كان سيد الناس يوم القيامة، وأخفى في الدنيا ما يجب من تعظيمه لعو منزلته، كما أخفى ما يستحقه جل جلاله من تعظيم عباده، وأطلق الألسنة عليه بأن له صاحبة وولدا، وما وقع به التعرف مما لا يليق به، كذلك قيل فيه ﷺ إنه ساحر مجنون كذاب، وغير ذلك، فإذا كان يوم القيامة وظهر الحق سبحانه وكبريائه، وذل كل موجود تحت عزته على الكشف، وذهبت الدعاوي، وتبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتَبعوا، ظهر في ذلك اليوم مقام سيدنا محمد ﷺ وسيادته على الناس»[(١)].

يقول العارف بالله سيدي الشيخ يسري جبر الحسني «الخطاب في قوله تعالى (ربك) موجه إلى الروحانية المحمدية، فهو الأنسان الكامل في الحقيقة وهو الخليفة بحق، وهو المُراد بخطاب الله تعالى، وهو الذي كان نبيا وآدم بين الروح والجسد، وهو الذي جعله فاتحا وخاتما، وهو الذي جمع الله فيه النبوات ومنه تفرقت في سائر الأنبياء، لأنه القائل: «**وَإِنَّمَا أنا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي**»[(٢)].

٢- قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ**﴾ [الزخرف:٨١]، ومن المعلوم أنَّ العبادة لا تكون إلا من بعد المعرفة، فلما أراد الله تعالى أن

---

(١) إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن ج١ ص٩٤.

(٢) البخاري (٧١). عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ».

نعبده ونتعرف إلى أسمائه وصفاته، أرسل لنا الرسل مبشرين ومنذرين، وأرسل معهم الكتب حتى نتعلم كيف نعبده ونتقرب إليه، وكما أخبر القرآن الكريم فالنبي ﷺ هو العابد الأول قبل خلق الخلق، وهو العارف الأول وما استمد العارفون أسباب معرفتهم إلا منه ﷺ. لذلك لم يقل مخلوق أنا أول العابدين إلا سيدنا محمد ﷺ، وقالها بأمر من الله ﷻ ليبين مكانته وأنه العبد الأول والعبد الأكمل. وقال ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وأول العابدين بنص القرآن.

٣- قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل:٦]، والشاهدُ في الآية قوله: (من لدُن حكيم عليم) **والعلم اللدني**: (هو ما يَنْكَشِفُ للقُلوبِ من أَنوارِ الغُيُوبِ)[١] **قال ابن عجيبة** «العلم اللدني: هو الذي يفيض على القلب من غير اكتساب ولا تعلم»[٢]، فالعلم اللدني هو الذي يعلمه الله تعالى لبعض عباده من غير واسطة، أي تلقيت القرآن يا أكمل الرسل من غير واسطة في حال روحانيتك، وبواسطة جبريل حال بشريتك.

قال البقلي: «كان روحه ﷺ حاضرا مشاهدا في جميع أنفاسه، يسمع من الحق كلاماً ازلياً على وفاق موارد الشرع بلا واسطة»[٣].

---

(١) المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية ج٣٠ ص١٧.

(٢) البحر المديد ج٣ ص٢٨٨.

(٣) عرائس البيان في حقائق القرآن ج ٣ص ٥٨

وهذا في حال النبوة التي أشار إليها ﷺ بقوله: «**كنت نبياً وآدم منجدل في طينته**»[١] وفي رواية «**كُنْتُ نَبِياً وآدم بيَن الرُوحِ والجَسَد**»[٢]. ولا يتصور نبوة بغير وحي ومعرفة.

يقول الشيخ عبد الرؤوف المناوي في فتح القدير»(كنت نبيا) لم يقل: كنت إنسانا ولا كنت موجودا إشارة إلى أنَّ نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب دون عالم الشهادة، فلما انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر، فظهر بذاته جسما وروحا، فكان الحكم له باطنا أو في كل ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل، ثم صار الحكم له ظاهرا فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين وإن كان الشرع واحدا(وآدم بين الروح والجسد) يعني أن الله جل وعلى أخبره بمرتبته وهو روح قبل إيجاد الاجسام الإنسانية كما اخذ الميثاق على بني آدم قبل إيجاد أجسامهم»[٣].

وقال نجم الدين الأسدي «لا من لدن جبريل، وبه يشير إلى أنك جاوزت حد كمال كل رسول، فإنهم كانوا يتلقون الكتب بأيديهم من يد جبريل

---

(١) اخرجه الإمام الترمذي (٣٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وادم بين الروح والجسد)، واخرجه الإمام احمد (٢٠٥٩٦)، والطبراني في الكبير، وابن أبي شيبة (٣٦٥٥٣).

(٢) الإمام احمد (٢٠٥٩٦) عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الخير قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٣٤) وابن أبي شيبة (٣٦٥٥٣) وايضاً عبد الله بن شقيق بلفظ (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد) والترمذي (٣٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٦ ص٣٢٨.

والرسالات من لفظه وحياً، وإنك وإن كنت تُلقى القرآن بتنزيل جبريل على قلبك تلقى حقائق القرآن، من لدن حكيم لقلبك بحكمه بها القرآن وهي صفة القائمة بذاته، فعلمك حقائق القرآن وبيانه وهو العلم اللدني، عليم حكيم جعله بحكمته مستعداً لقبول الفيض القرآن بلا واسطة عليم هو أعلم حيث يجعل رسالته»[١].

قال الشيخ محمد عبد الكبير الكتاني» القرآن التفصيلي أحاط به وتلقاه يوم لا يوم، منه إليه في تلك الكنزية الأولى، هناك تلقاه ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل:٦]، ولا زال مخبوءاً في طي حلل أحمديته إلى أن ظهرت في قالبها الإنساني العنصري الجسماني، وإنما كان يسأل جبريل عليه السلام عنه نظراً لقوله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه:١١٤]، وأيضاً ليظهر كمال العبدية، وأيضاً ليتمتع ذلك السفير بطلعة محياه»[٢].

وقال الشيخ محمد عبد الكبير الكتاني في كتاب أخر» ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: لا تعجل بتلاوة ما عندك من القرآن القدسي المسموع منا وإلينا، والمُتلقى عنا وإلينا، فيفشى السر المكتوم من قبل ﴿أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ وحياً ثانياً ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ حيث اقتضى الحال الإنزال مرتين: مرة في عالم الأرواح، ومرة في عالم الأشباح، لحكم وأسرار»[٣].

وقد أشار إلى هذا المعنى العارف بالله الشيخ الدكتور يسري جبر الحسني في صلاة التجلي فقال «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، مَجْلَى الرُّبُوبِيَّةِ بِقَوْلِ: ﴿وَمَآ

(١) التأويلات النجمية ج٣ ص٦٥.

(٢) الطلاسم في الكمالات المحمدية ص٦١.

(٣) الكشف والتبيان عما خفي عن العيان من سر آية (ما كنت تدري ما الكتاب) ص١٧.

﴿أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وَمُفْتَتَحِ النُّبُوَّةِ بِقَوْلِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل:٦]، وَتَجَلِّي الْأُلُوهِيَّةِ الْأَعْظَمِ بِقَوْلِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى:٥٢]، صَاحِبُ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، وَالنَّهْجِ الْقَوِيمِ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الرؤوف الرَّحِيمُ، وَعَلَى آلِهِ وَسَلِّمْ بِقَدْرِ مَا وَضَعْتَهُ فِيهِ مِنْ أَسْرارِكَ، وَاجْعَلْ لَنَا مِنْهُ أَوْفَرَ نَصِيبٍ مِنَ الْعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ، يَا اللهُ يَا مُجِيبُ».[1]

٤- قال الله ﷻ: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن:١-٤]

وهذا نص واضح بأن الرحمن علم القرآن قبل خلق الأنسان، و(علَّم) فعل يدل على حدوث الفعل في الزمن الماضي، فعلمه للروحانية المحمدية حين أعطاه النبوة في عالم الذر (**كنت نبياً وآدم منجدل في طينته**)[2]، ثم خلق الأنسان وهو سيدنا آدم عليه السلام، وعلَّمه البيان ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، ويمكن أن يكون المعنى (خلق الإنسان) أي خلق سيدنا محمداً ﷺ، ثم بعث سيدنا محمدا ﷺ بصورته البشرية وعلمه البيان، أي تبليغ الكلام القديم بلسان الحادث لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء:١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ [الدخان:٥٨]، وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [الحاقة:٤٠].

---

(١) الدرر النقية في أوراد الطريقة اليسرية الصديقية.

(٢) اخرجه الإمام الترمذي (٣٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وادم بين الروح والجسد)، واخرجه الإمام احمد (٢٠٥٩٦)، والطبراني في الكبير، وابن أبي شيبة (٣٦٥٥٣).

قال البغوي «قال الكلبي: علَّم القرآن محمدا ﷺ، وقال ابن كيسان: خلق الأنسان يعني محمدا ﷺ، علَّمه البيان يعني بيان ما كان وما يكون؛ لأنه كان يبين عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين»[1].

قال الشيخ رافع الرفاعي مفتي الديار العراقية: قال الله تعالى ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ ولم يجعل بينهما (واو العطف) لكي لا يتبادر إلى الذهن أن المقصود مطلق الجمع، وإنما الترتيب؛ لأن (الواو) تقتضي الأول وهو غير المراد.

والأولية إما مطلقة وإما إضافية، وهذا ما لمسناه في سورة الفاتحة أول سورة في القرآن الكريم، حيث قال ربنا ﷻ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:١:٢] ولم يفصل بين البسملة والحمدلة بواو العطف، لنستدل بذلك أن البسملة لها الأولية المطلقة والحمدلة لها الأولية الإضافية.

وقوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ أي علمه كاملاً للنور المحمدي، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣] وقوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ عامٌ ولا دليل على تخصيصه، بمعنى أن الله علم رسوله ﷺ كلَّ ما لم يعلمه، أي علمه كلَّ شيء. وهذا يقتضي أن القرآن موجودٌ عند رسول الله ﷺ عندما كان نوراً ولم يفارقه، وقول جبريل عليه السلام: (اقرأ) أي اقرأ ما طُبع في روحانيتك من القرآن.

٥- قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه:١١٤]، أي لا تعجل بالقرآن قبل أن يتلوه عليك جبريل عليه السلام، فسيدنا محمد

(١) تفسير البغوي ج٤ ص٣٣٠.

ﷺ كان يسابق جبريل عليه السلام بقراءة القرآن وهذا ما بينه في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة:١٦]. لأنه قد أُوتي القرآن في حال روحانيته كما بينا في الفقرة السابقة قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل:٦]، فصار يتذكره ﷺ لوجوده في روحانيته حال تلقيه من سيدنا جبريل عليه السلام.

قال الشيخ أبو مدين الغوث رضي الله عنه: «إنَّ القرآن أنزل على قلبه ﷺ جملة واحدة بلا واسطة جبريل عليه السلام، فكان في صدره إلا أنه ممنوع من النطق به إلى إتيان جبريل عليه السلام، فكان جبريل كالمفتاح لما في خزانة صدره، ولهذا كان يعجل بالقراءة حين نزلت هذه الآية»(١).

٦- قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران:٨١]، فقد أخذ الله عز وجل العهد على الأنبياء في عالم الأرواح إن جاء النبي ﷺ في زمانهم أن يؤمنوا به وينصروه، وإن لم يأتِ في زمانهم فوظيفتهم دعوة الناس إلى التوحيد والتبشير بهذا النبي الكريم وذكر صفاته لأقوامهم حتى يؤمنوا به إن جاء في زمانهم، وفيها إثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ من عالم الأرواح قبل عالم الأشباح، بل أن الله تعالى وصفه بصفة الرسالة من عالم البَدء، وشهد له بالرسالة وشهد على الأنبياء بالإقرار والتسليم، فكان الأنبياء نوابا عنه ﷺ في دعوة الناس إلى التوحيد وعبادة رب العالمين والتبشير بسيدنا محمد ﷺ.

---

(١) جلاء القلوب من الاصداء الكونية في بيان احاطته بالعلوم الكونية، للشيخ محمد بن ادريس الكتاني ج١ ص١٧١

قال العلامة الألوسي « فهو عليه الصلاة والسلام الكامل المكمل للخليقة والواسطة في الإفاضة عليهم على الحقيقة وكل من تقدمه عصرا من الأنبياء وتأخر عنه من الأقطاب والأولياء نواب عنه ومستمدون منه»(١).

قال الشيخ يوسف النبهاني في كتابه الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية «لما خلق الله تعالى نور نبينا ﷺ وخلق بعده أنوار الأنبياء، أمره أن ينظر إليهم فغشيهم منه ما أنطقهم الله به فقالوا: يا ربنا من غشينا بنوره؟ فقال: هذا نور محمد بن عبد الله فاخذ عليهم العهد ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ..... الآية﴾ (٢).

٧- قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف:١٧٢] وهذا دليل قاطع على أنَّ الأرواح عاقلة وقد خاطبها الله تعالى في عالم الذر، فمن أول الأرواح إجابةً للنداء؟ والجواب: هي أعرف روح بالله ﷻ، روح سيدنا محمد ﷺ وقد صرح بذلك وقال تعالى ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر:١٢]، فلما رأت الأرواح أنَّ الروح المحمدية أجابت وتجلى عليها ربها بجميع التجليات، أجابت أرواح الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين والمؤمنين والمسلمين اقتداءً بتلك الروح فنالوا ما نالوا من تلك الخيرات وكل حسب مرتبته ومقامه ومن هنا ظهر التفاوت في الدنيا، وهنا يتضح لنا معنى قوله ﷺ « **إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِّ**» والنور الذي رشه سبحانه وتعالى وألقاه على الأرواح هو النور المحمدي.

(١) روح المعاني ج١١ص٢٠٠.

(٢) الانوار المحمدية من المواهب اللدنية ص١١

قال الشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه «فإن كل من أجاب الله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سقي من نوره صلى الله عليه وسلم، لكن منهم من سقي كثيرا، ومنهم من سقي قليلا، فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين حتى كان منهم أولياء وغيرهم. وأما أرواح الكفار فإنها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه، فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية والإرتقاءات السرمدية ندمت وطلبت سقيا فسقيت من الظلام، والعياذ بالله»[1].

❁❁❁

(١) الإبريز ص٥٥٤

الطَور الثالث

طَور الشهادة وشهوده على الأكوان في جميع الأزمان

بعد أن ثبت لدينا أن سيدنا محمداً ﷺ حال روحانيته كان أول الأنبياء، وأن الله تعالى جمع له الأنبياء والمرسلين في عالم الذر وأخذ العهد عليهم بالإيمان به والطاعة لهذا النبي ﷺ، وثبت عندنا في الطَورين السابقين أن الروحانية المحمدية سابقة لخلق الأكوان وممدة لها، سنثبت في هذا الطور ما خصَّ الله تعالى به نبيه ﷺ من شهوده على الأكوان واطلاعه على الأعمال، ونبين معاني كلمة الشاهد في القرآن الكريم وأسرارها.

١- قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

فهو ﷺ السراج المنير الذي أنار الأكوان فأخرجها من العدم إلى الوجود، وهو الرسول الشاهد على الأكوان وعلى الأمم والشعوب، وهو النبي المشاهد بروحانيته جميع ما كان وما يكون، فما وصفه الله ﷻ بالشاهد إلا لأنه مشاهد. والشاهد في معاجم اللغة من المشاهدة والعيان والسماع والحضور، فكان شاهدا على خلق الأكوان قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف:٥٠-٥١]

فذم اللهُ ﷻ الشيطانَ ومن تبعه وقال إنَّه لم يُشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، وبمفهوم المخالفة نعلم أنَّ الله ﷻ قد أشهد بعض خلقه على خلق السموات والأرض وخلق الأنسان مثلما أشهد الملائكة على خلق آدم عليه السلام، وكما قررنا أن سيدنا محمداً ﷺ المخلوق الأول فقد أشهده الله تعالى على خلق السموات والأرض وخلق الأكوان، ولذلك قال عنه (شاهد) بصيغة اسم الفاعل ولم يحدده بزمن معين، بل شاهد على كل الأزمان، وهذا ما بينه النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه الشيخان عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ:(**قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أهل الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وأهل النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ**)[1].

وهو ﷺ الشاهد على سؤال الأرواح يوم ألست بربكم، والشاهد على جوابها وكما بينا أنفا، وهو الشاهد على الأنبياء والأمم لقوله تعالى: ﴿**وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا**﴾ [البقرة:١٤٣] وفي قوله تعالى: ﴿**فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١**﴾ [النساء:٤١]، والشاهد على أمته في حال حياته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ﴿**وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ**﴾ [التوبة:١٠٥].

(١) البخاري (٣١٩٣)، مسلم (٢٨٩١)، أبو داوود (٤٢٤٠)،

قال نجم الدين الأسدي «يشير إلى أنه لما كان أول مخلوق خلقه الله تعالى كان شاهداً بوحدانية الحق تعالى وربوبيته، وشاهداً بما أخرج من العدم إلى الوجود من الأرواح والنفوس والأجرام والأركان والأجسام والمعادن والنبات والحيوان والملك والجن والشيطان والإنسان، وكل ما دب فيه روح؛ لئلا يشذ عنه مما يمكن للمخلوق دركه من أسرار أفعاله، وعجائب صنعه، وغرائب قدره بحيث لا يشاركه فيه غيره؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: « **علمت ما كان وما سيكون** »؛ لأنه شاهد الكل وما غاب لحظة، وشاهد خلق آدم عليه السلام ولأجله قال صلى الله عليه وسلم: « **كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد، أو كنت مخلوقاً وعالماً بأني نبي وحكم لي بالنبوة وآدم بين أن يخلق له روح ثم يخلق له جسد ولم يخلق بعد** ».

وشاهد: خلق إبليس، وما جرى عليه من: امتناع السجود لآدم، والطرد واللعن بعد طول عبادته ووفور علمه بمخالفة أمر واحد، فحصل له بكل حادثة جرت على الأنبياء والرسل والأمم فهوم وعلوم، فلما تحصل لروحه ما أمكنه حصوله من كمال العلم، والحال لكمال الربوبية الإلهية في عالم الأرواح، أراد أن يزداد نوراً على نور، وأن يحصل كمالاً على كمال إنزال روحه في قالبه على وجهه المعروف، بعدما شرفه وفضله أقصى ما يمكن من الإكرام، ثم رباه بلبان العناية في حجر الهداية، إلى أن أرسله إلى الأحمر والأسود ﴿شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا﴾ [الأحزاب:٤٥].

قال ابن عجيبة «قال الورتجبي: إنا أرسلناك بالحقيقة شاهداً، أنت شاهِدُنا، شاهدناك وشهدت علينا، فألبستك أنوار ربوبيتي، فمَن شهدك بالحقيقة فقد شَهِدنَا. قُلتُ: لأن نوره صلى الله عليه وسلم أول نور ظهر من نور الحق، فمَن شَهِدَه شَهِدَ الحق.

ثم قال: ومَن نظر إليك فقد نظر إلينا. قال صلى الله عليه وسلم: «**من عرفني فقد عرف الحق، ومَن رآني فقد رأى الحق**». ثم قال: وَسِراجاً مُنِيراً، أسرجت نورك من نوري، فتُنور بنوري عيون عبادي المؤمنين، فيأتون إليّ بنورك. ثم أمره بأن يُبشر المؤمنين بأنهم يصلون إلى مشاهدته، بلا حجاب ولا عتاب.»[١].

قال محمد بن عبد الكبير الكتاني» واعلم أن مشاهداته ومكافحاته ﷺ دائمة، من يوم برز لم يُحجب عنه طرفة عين، أما باطناً فقطعاً، ولا ينازع فيه إلا من ضعف سقيه من فيه، وذلك لما ورد «**إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**»، وما ورد أيضاً «**إني أظل عند ربي**»، فاستُفيد مما ذكر أنه ﷺ دائم العطوف في جمع كعبة الحسن، بحيث لا يخرج عن حضرات الإحسان دائماً، بل عن ما وراءها، لأن ثمة حضرة أخرى لم يعرفها ولم يدخلها غيره ﷺ، ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٨﴾﴾[النحل:٨]، وهي المعنية بقولي:

وثم وراء الحسن معنى شهدته ... بمهمه غيب القدس طي حلتي
هناك انمحى عن فرقي نقطة غينه ... وصرت وراء الجمع من جمع شكلتي
فليس وراء مرماي مرمى لذي هوى ... تجمعت الأضداد في فرد كثرتي

وإليه الإشارة بقوله جلت عظمته ﴿**بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾**﴾[البروج:٢١][٢].

٢- قال الله ﷻ مخاطباً سيدنا محمداً ﷺ في كثير من مواضع القرآن بصيغة (ألم تر)، و(لم) حرف جزم ونفي وقلب، يدخل على المضارع فيجزمه ويقلب زمنه إلى الماضي، فيكون المعنى (لقد رأيت).

---

(١) البحر المديد ج٤ ص٤٤٥.

(٢) الطلاسم في الكمالات المحمدية ص٣٦.

فان كانت الرؤية في زمانه فهي رؤية العين كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران:٢٣]، وإن كانت الرؤية متعلقة بالأزمنة التي قبله فهي رؤية بالروحانية المحمدية السارية في الأكوان بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فقال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [البقرة:٢٤٦]، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة:٢٥٨]، و قوله ﷻ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفجر:٦]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل:١] ﷻ فجميع هذه الآيات تفسر معنى كونه شاهدا على الأكوان وعلى الأمم بروحانيته، ولذلك خاطبه ربنا بقوله (ألم تر) أي بروحانيتك. وهناك نوع أخر من الرؤية وهي بالبصر وهي خاصة بالنبي ﷺ والأنبياء والرسل قال الله ﷻ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾ [إبراهيم:١٩]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور:٤٣]، لذلك لم يقل: ألم تروا، فكان إيماننا بكل ذلك غيبا، وله ﷺ شهوداً وعياناً. وقد تحصل هذه الرؤية للأولياء ولكن من خلال مرآته ﷺ، وهذه الرؤية رؤية بصر وليست رؤية بصيرة وشهود، ودليلنا قول سيدنا موسى عليه السلام (أرني أنظر اليك) ولم يقل أشهدني، فطلب مشاهدة البصر، وكل هذا من الغيب الذي أطلع الله

نبينا ﷺ عليه حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٧٩]

وقوله ﷻ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٧]، وبعد ما ذكرناه آنفاً ثبت لدينا أنه ﷺ نبي من عالم الأرواح ومشاهد للأكوان؛ لأنه الشاهد عليها، وهو الذي يمد الأكوان بالرحمة في كل الأزمنة؛ لأنه الرحمة للعالمين.

٣- قال الله ﷻ ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء:٢١٩].

قال القرطبي «قال ابنُ عباسٍ: (أي في أصلاب الآباء، آدم ونُوحٍ وإبراهيم حتى أخرجهُ نبيا»[١].

وقال البغوي «قال عطاء عن ابن عباس: أراد تقلبك في أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة»[٢].

قلت: وهذا التقلب والانتقال في أصلاب الأنبياء كان فيه من النفع والبركة والخير والنجاة للأنبياء ما لا يعلمه إلا الله، فقد روي عن ابن عباس قوله (قلت: يا رسول الله أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: **كنت في صلبه، وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب نوح، وقذفت في النار في صلب إبراهيم، لم يلتق لي أبوان قط على سفاح، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما، وأخذ الله لي بالنبوة ميثاقي، وفي التوراة بشَّر بي، وفي الإنجيل شهر اسمي، تشرق الأرض لوجهي والسماء لرؤيتي**)[٣].

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص١٤٤

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن ج٦ ص١٣٤

(٣) الوفا بأحوال المصطفى لأبن الجوزي ج١ ص٣٧

ولقد نجى الله به آدم وقبل توبته، ونجى به نوحا من الغرق، ونجى به إبراهيم من النار، ونجى به إسماعيل من الذبح، ونجى والده عبد الله، وكل ذلك ببركة وجود النور المحمدي في أصلابهم. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «**أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَتْ رُوحُهُ نُورًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالى، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدم بِأَلْفَيْ عَامٍ، يُسَبِّحُ ذَلِكَ النُّورُ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِهِ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ آدم ألقى ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ. فقال رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَهْبَطَنِي اللهُ إلى الْأَرْضِ فِي صُلْبِ آدم، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ، وَقَذَفَ بِي فِي صُلْبِ إبراهيم، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ اللهُ تَعَالى يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الكريمة، والأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من أبوي لَمْ يَلْتَقِيَا عَلَى سِفَاحٍ قَطُّ**». وَيَشْهَدُ بصحة هَذَا الْخَبَرِ شِعْرُ الْعَبَّاسِ، الْمَشْهُورُ فِي مَدْحِ النبي صلّى الله عليه وسلم)[1].

وشعر العباس رضي الله عنه:

أنـت نـورٌ مـن عـزيـز راحـمٍ تقمعُ الـشـرك وعـبّـاد الوثن

❁❁❁

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ص١٦٠

الطَور الرابع
طَور البشرية المحمدية

يعتبر هذا الطور من أعظم أطواره ﷺ لاجتماع أسرار الروح ومعارفها بأسرار الجسد ومعارفه، ولا يمكن لمخلوق أن يحيط بأسرار هذا الطور ولا أي طور من أطواره ﷺ، ولعظمة هذا الطور العظيم سنقف مع ثلاثة مباحث عظيمة تبين عظمة هذا النبي المصطفى ﷺ وخصوصيته على سائر الأكوان.

فالمبحث الأول: سنتكلم فيه عن إثبات نبوته ﷺ من ساعة الولادة.

والمبحث الثاني: سنتكلم فيه عن النورانية المحمدية في حال البشرية، فكما كان نورا بين يدي ربه ﷻ ظل نورا في حال اجتماع الروح بالجسد، بل تضاعف النور لاجتماع أنوار الروح وما أودع الله فيها من الأسرار مع أنوار الجسد وما أودع الله فيه من الأسرار فصار ﷺ نورا على نور ويهدي الله لنوره من يشاء.

والمبحث الثالث: في الكلام عن علمه ﷺ بالأمور الغيبية، والرد على من أنكر علم النبي ﷺ للغيب، وأثبات ذلك بالكتاب والسنة.

المبحث الأول

إثبات نبوته ﷺ منذ ولادته

النبوة وهبية من فضل الله وليست مكتسبة، والأنبياء وجبت لهم النبوة عند ولادتهم، بل كما أثبتنا في المبحث السابق أنهم أنبياء من عالم الذر، وهذا نقرر عليه كثيراً من الأمور، منها أنهم عارفون بربهم، ولا يقعون في الشرك أبدا، ولا يرتكبون الذنوب صغيرها وكبيرها، وبهذا ننزه الأنبياء مما نُسب إليهم من الذنوب والمعاصي والغفلة والجهل قبل الإرسال، وهنا سنذكر الأدلة على نبوتهم منذ ولادتهم من القرآن والسنة، وهذا لجميع الأنبياء كما سنبين فما بالك بسيدنا محمد ﷺ، فلا يصح عند ذلك القول أنه كان جاهلا بربه وجاهلا بالإيمان قبل البعثة:

١- قال الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب:٤٥]، وهذا نص صريح واضح يصف الله تعالى نبيه ﷺ بالنبوة قبل الإرسال، فوصفه بالنبوة ثم أرسله، أي يا أيها النبي المنبئ من عالم البَدء روحا وبطونا، وفي عالم الدنيا ساعة ولادتك وظهورك، إنا أرسلناك شاهداً على العالمين، ومبشراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين والمعاندين.

٢- قال الله ﷻ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١].

أي أتيناه النبوة والحكمة مذ كان صغيراً، لذلك لم يسجد لصنم قط، ولم يعبد إلا الله ﷻ.

قال مجاهد «هديناه صغيرا»[(١)].

(١) تفسير مجاهد ج١ ص٤٧٢.

وقال الرازي «قال الضحاك: حين كان في صلب آدم حين أخذ الله ميثاق النبيين»[١].

وقال المظهري «معناه من قبل البلوغ حين خرج من السرب وهو صغير حين قال إني وجهت، يعنى أعطيناه النبوة صغيرا، كما قال ليحيى أتيناه الحكم صبيا أو المعنى قبل استنبائه، وَكُنَّا بِهِ اي بإبراهيم عالِمِينَ إنه أهل للهداية والنبوة حيث كان مبدأ تعينه صفة العلم والهداية من صفات الله تعالى.»[٢].

وقال نجم الدين الأسدي «شرفناه بنور الخُلة ومن قبل خلقه؛ لأن اتخاذ الله إياه خليلاً كان في الأزل، فإن الكلام الأزلي ناطق ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١] أي: بأهليته للخلة واستحقاقه للرشد والهداية؛ لأنا خلقناه مستعداً للهداية والكرامة ألا يعلم من خلق.»[٣]

٣- قال الله ﷻ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات:١٠٢].

قال سيدي الشيخ حسن الحلَّاب ﷺ المتأمل في خطاب سيدنا إبراهيم عليه السلام لسيدنا إسماعيل عليه السلام وقوله:﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾هذا خطاب لشخص عارف بالأمور وبمصدرها وما ستؤول إليه، وما هو إلا نظر نبي عارف بالله يعلم أنَّ الأمر صادر من رب إبراهيم وما عليهم إلا السمع والطاعة، لذلك قال: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾فالعاقل لا يسلم نفسه للذبح بسبب رؤيا إلا إن كان نبيا عالماً بأنَّ رؤيا الأنبياء حق ووحي.

---

(١) مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير للرازي ج٢٢ص١٥٢.

(٢) تفسير المظهري ج٦ ص٢٠٢.

(٣) التأويلات النجمية ج٢ ص٤٩٩.

٤- قال الله ﷻ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف:١٥]وفي هذه الآية نص صريح على أنَّ الله تعالى أوحى لسيدنا يوسف عليه السلام وهو صبي في البئر، وأنبأه بحاله وطمنه وأخبره بحاله وحالهم، وأنه سيلتقي بهم بعد ذلك وسيخبرهم بما فعلوا به.

قال ابن عطية «قال الحسن: أعطاه الله النبوءة وهو في الجب»[1].

٥- قال الله ﷻ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص:١٢]، وهذا في حق سيدنا موسى عليه السلام، وقال في حقه ايضاً ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩] وكل ذلك يدل على نبوته واصطفائه، فهل من يُصنع برعاية الله وحفظه يُذنب أو يجهل؟ كلا والله، بل إنَّ الله ببركته ولأجله أوحى إلى أمه وحي الإلهام فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:٧].

٦- قال الله ﷻ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩]. فلو لم يكن سيدنا سليمان عليه السلام نبيا في صغره لما رد حكم نبي الله داوود عليه السلام، وسيدنا داوود عليه السلام أخذ بحكمه، والله تعالى قال ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ ثم قال ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. وهذا دليل على نبوته وهو صغير.

٧- قال الله ﷻ ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم:٣٠] وهذا أوضح النصوص وأبينها على ما نقول، فسيدنا عيسى وبعد أيام من ولادته قال إنه نبي وآتاه الله كتاباً، فما بالك بسيدنا محمد ﷺ.

---

(١) تفسير ابن عطية ج٣ ص٢٢٥.

٨- قال الله ﷻ ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [مريم:١٢]. فالنصوص تفسر بعضها بعضا، وتُبين متى وجبت النبوة للأنبياء.

وبعد أن أثبتنا نبوة الأنبياء من وقت ولادتهم، فما بالك بسيدنا محمد ﷺ الذي هو سيد الأنبياء وإمامهم، فكيف لا تثبتون له النبوة وتصفوه بالجهل وعدم العصمة قبل البعثة، إنْ هذا إلا افتراء عظيم.

قال مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي: وكل ما صدر عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما قد يقدح في عصمتهم ظاهراً، فإنما هو جارٍ على قاعدة (وما فعلته عن أمري) فإن فناء الإرادة متحققٌ على كماله في الأنبياء، وأكملهم في ذلك سيدنا محمد ﷺ، والدليل على ذلك الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **احْتَجَّ آدم وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أنت آدم الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدم: أنت مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أمر قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ** » **فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدم مُوسَى مَرَّتَيْنِ»**[1] أي كررها مرتين، وفي رواية الإمام مسلم عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ هُرْمُزَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، قَالَا: سَمِعْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **احْتَجَّ آدم وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدم مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أنت آدم الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وأسجد لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إلى الأرض، فَقَالَ آدم: أنت مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الألواح فِيهَا**

(١) البخاري (٣٤٠٩).

تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ، قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدم: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا وَعَصَى آدم رَبَّهُ فَغَوَى، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ « قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدم مُوسَى»[1].

قلت: وقد حكى أهل السير أنَّ السيدة أمنة بنت وهبٍ ﵂ أخبرت أنَّ نبينا محمدًا ﷺ ولد حين ولد باسطًا يديه إلى الأرض رافعًا رأسه إلى السماء، وقال في حديثه ﷺ: وحادثة شق صدره الشريف واستخراج قلبه وهو ينظر ويسمع ما تكلم به الملكان، ومثل هذه الأمور التي حصلت كثر، حتى علم جميع من رآه أنه نبي أخر الزمان.

فبعدما أثبتنا نبوته في عالم الذر، ثبت عندنا الآن نبوته من يوم ولادته ﷺ، فهو العارف الكامل في عالم الذر وقبل البعثة وبعدها، وكلما مر عليه طَور من الأطوار زادت معرفته بربه، وتوسعت أفاق معرفته وهو مستمر إلى أبد الأبدين.

(١) مسلم (٢٦٥٢).

المبحث الثاني

النور المحمدي في الشخص المحمدي

فكما كان ﷺ نوراً وكنزاً مخفياً بين يدي ربه ﷻ، فهو نورٌ في حال بشريته ولم يفارقه هذا النور بل ازداد وتضاعف وفاض حيث اجتمع نورُ الروح مع نور الجسد الطاهر مع نور الوحي، وهذا ما بينه ﷻ في القرآن الكريم وصرح به النبي ﷺ في السنة المطهرة.

الأدلة من القرآن الكريم:

١- قال الله ﷻ ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦]

قد جاءكم رسولنا نائباً عن حضرتنا في تبليغ مرادنا من الأكوان، ثم بين صفة هذا الرسول المعظم فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ وهو وصف للرسول المبعوث لبيان التبليغ وكتاب مبين، يهدي الله بهذا النور المبين المتجسد بالشخص المحمدي من آمن به وتعلق به واتبع سبيله، ويخرجهم من ظلمات النفس الأمارة إلى أنوار النفس المطمئنة والكاملة، ومن ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان، كما أخرج بهذا النور من قبل الأكوان من العدم إلى الوجود. وتفسير النور بالنبي ﷺ أولى من وصف القرآن بالنور؛ لأن عطف التأسيس أولى وأقوى من عطف التفسير.

قال الإمام الرازي «وصَفَ ذَاتَهُ بِالنُّورِ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، ووصف الرَّسُولَ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥]، ووصف الْقُرْآنِ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف:١٥٧]»[١].

وقال الطبري «يعني بالنور، محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي أنار الله به الحقَّ، وأظهر به الإسلام، ومحق به الشرك، فهو نور لمن استنار به يبيِّن الحق. ومن إنارته الحق تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب»[٢]

قال إسماعيل حقي «وسمى الرسول نورا؛ لأن أول شيء أظهره الحق بنور قدرته من ظلمة العدم كان نور محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ﷺ (أول ما خلق الله نوري)، ثم خلق العالم بما فيه من نوره بعضه من بعض، فلما ظهرت الموجودات من وجود نوره سماه نورا، وكل ما كان أقرب إلى الاختراع كان أولى باسم النور، كما إنَّ عالم الأرواح أقرب إلى الاختراع من عالم الأجسام؛ فلذلك سمى عالم الأنوار والعلويات نورانيا بالنسبة إلى السفليات، فاقرب الموجودات إلى الاختراع لما كان نور النبي عليه السلام كان أولى باسم النور؛ ولهذا كان يقول (**أنا من الله والمؤمنون مني**)، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾وروي عن النبي عليه السلام أنه قال: «**كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، وكان يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه**» وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لما خلق الله آدم أهبطني فى صلبه**

(١) مفاتيح الغيب ج٢٢ ص٣٧.

(٢) تفسير الطبري ج١٠ ص١٤٣.

إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذفني فى صلب إبراهيم ثم لم يزل تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»[١].

وقال العلامة الألوسي «قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ عظيم وهو نور الأنوار والنبي المختار صلّى الله عليه وسلّم، وإلى هذا ذهب قتادة، واختاره الزجاج»[٢]، وقال في موضع أخر «قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ أبرزته العناية الإلهية من مكامن العماء وَكِتابٌ خطه قلم الباري في صحائف الإمكان جامعا لكل كمال، وهما إشارة إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم»[٣].

٢- قال الله ﷻ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف:٨].

قال القرطبي «فأن نور الله في هذه الآية هو سيدنا محمد ﷺ «قَالَ السُّدِّيُّ إِنَّهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُرِيدُونَ هَلَاكَهُ بِالْأَرَاجِيفِ، وَسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ مَا حَكَاهُ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، أَبْشِرُوا! فَقَدْ أَطْفَأَ اللهُ نُورَ مُحَمَّدٍ فِيمَا كَانَ يُنْزِلُ عَلَيْهِ، وَمَا كَانَ لِيُتِمَّ أَمْرَهُ، فَحَزِنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ وَاتَّصَلَ الْوَحْيُ بَعْدَهَا»[٤].

---

(١) روح البيان ج٢ ص٣٧٠.

(٢) روح المعاني أو تفسير الألوسي ج٣ ص٢٦٩.

(٣) روح المعاني ج٣ ص٢٩٢.

(٤) تفسير القرطبي ج١٥ ص٨٥.

٣- قال الله ﷻ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور:٣٥]. أي الله منور السموات والأرض، مثل نوره (الروحانية المحمدية، أو محمد) الذي أنار به الأكوان في البَدء فأوجدها، وأرسله متجسداً ومتنقباً بالبشرية في عالم الدنيا ليهدي به المخلوقات ويخرجهم من الظلمات إلى النور، وتفسير بقية الآية قد ذكرناه في الطور الأول.

٤- قال الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، فهو ﷺ السراج المنير الذي أنار الأكوان في عالم الأزل فأخرجها من العدم إلى الوجود، وهو السراج المنير الذي يُنير طريق السائرين إلى الله تعالى فيخرجهم من الظلمات إلى النور.

ولقد خلق الله تعالى لنا سُرجاً وأقماراً تنير لنا في عالم الحس، كالشمس والقمر والنجوم وكل هذه السُرج إنما هي انعكاسات لضوء السراج المنير بربه وهو النبي ﷺ، فكل سُرج الكون توقد من هذا السراج الذي لا ينفذ زيته ولا يُطفئ نوره.

وبعد أن ذكرنا كل الأدلة التي ذكرها القرآن الكريم على أنه ﷺ نور في البَدء، ونور في طوره البشري، ونور في المحشر، وهو نور الله الذي يهدي به الأكوان، ثبت عندنا أنه ﷺ النور المشار إليه في قوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا

﴿يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر:٦٩]، إذ أُطفأت كل السرج والأقمار وكُسفت وخُسفت ولم يتبقَ إلا السراج المنير الذي حاشا لله أن ينطفئ، وهو نور الله الذي يضيئ به الأرض، فهو ﷺ النور في جميع أطواره.

الأدلة من السنة النبوية:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال (**مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وسلم كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِى فِى وَجْهِهِ وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِى مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وسلم كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ أنا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ**)[١].

٢- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ (**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ فِى لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلى رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وسلم وَإِلَى الْقَمَرِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ فإذا هُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ**)[٢].

٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَى حَاجَتَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَتَى القِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ وُضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ، فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَتَّقِيهِ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلاَتُهُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَآذَنَهُ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي**

(١) الترمذي (٤٠٠٩)، وأحمد (٨٧٢٣).

(٢) الترمذي (٣٠٤١).

سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا» قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبْعٌ فِي التَّابُوتِ، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ العَبَّاسِ، فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعَرِي وَبَشَرِي، وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ)[1]، وفي رواية مسلم **(وَاجْعَلْنِي نُورًا)**[2]، ومن المعلوم عند الجميع أن دعاء النبي ﷺ مستجاب، فثبت لنا أنه ﷺ نورٌ مُنَوَّرٌ مُنَوِّرٌ لجميع الأكوان.

قال مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي: وقد يرد سؤالاً على هذا الحديث الشريف، ومفاده أنه لما كان النبي ﷺ نوراً في ذاته ومنه انشقت الأسرار كما وصفه ابن مشيش في صلاته، فلماذا يدعو ربه ان يجعل له نوراً من خلفه ومن أمامه وعن يمينه وعن شماله؟ والجواب على ذلك: أنَّ النورية ثابتةٌ في ذات الحقيقة المحمدية، وقد أُثبت ذلك فيما سبق من هذا الكتاب، ولكنَّه ﷺ لا يريد أن يخرج عن كمال العبودية المتجردة عن جميع الخصائص، فلا تكون تلك الخصائصُ داعيةً إلى الخروج من ربق العبودية، ومثال ذلك ما وعده الله تعالى من النصر في بدرٍ، وهو ﷺ قاطع اليقين بأنه سينتصر، ومع ذلك فقد أثبتت الأحاديث الصحيحة أنه ﷺ كان مُلحاً بالدعاء، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ»** فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

(١) البخاري (٦٣١٦).

(٢) مسلم (١٨٧).

[القمر:٤٥-٤٦]»[١]. وعن عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ»[٢].

٤- عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَكُنْتُ أَغْزِلُ قَالَتْ: فَنَظَرْتُ إِلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ جَبِينُهُ يَعْرَقُ وَجَعَلَ عَرَقُهُ يَتَوَقَّدُ نُورًا قَالَتْ: فَبُهِتُّ قَالَتْ: فَنَظَرَ إِلَيَّ فَقَالَ: «مَا لَكِ بُهِتِّ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَظَرْتُ إِلَيْكِ فَجَعَلَ جَبِينُكَ يَعْرَقُ وَجَعَلَ عَرَقُكَ يَتَوَلَّدُ نُورًا فَلَوْ رَآكَ أَبُو كَبِيرٍ الْهُذَلِيُّ لَعَلِمَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِشِعْرِهِ قَالَ: «وَمَا يَقُولُ يَا عَائِشَةُ أَبُو كَبِيرٍ الْهُذَلِيُّ؟» فَقَالَتْ: يَقُولُ:

وَمُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ... وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيَلِ

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلى أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ... بَرَقَتْ كَبَرْقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

قَالَتْ: فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ فِي يَدِهِ وَقَامَ إِلَيَّ فَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيَّ»[٣].

(١) البخاري (٢٩١٥).

(٢) مسلم (٥٨).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ج٢ ص٤٥.، وابن عساكر في تاريخه ج٢ ص٣٠٧، وذكره الشيخ المحدث عبدالله سراج الدين في كتابه (سيدنا محمد) ص٢٣.

قال ابن سبعين» كان ﷺ يظهر بين عينيه النور الذي لا يخفى على أحد، حتى إن العرب من كان يغنيه في إيمانه عن طلب المعجزة والآية منه، ومع ذلك أيضاً النور في تبسمه وفي جبينه كما حدثت عائشة رضي الله عنها، وفي كلامه وأفعاله وحركاته وكل أكوانه ما ظهر منها من خلقه، وما بطن من مجموع أنوار هذا في أصل وضعه، كيف وهو القائل « **اللهم اجعلني نورا**» بعدما عدد أجزاء بدنه، وهذا كشف له انه النور، بل نور النور الروحاني والجسماني»[1].

٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ**»[2] والرؤية حسية وليست معنوية، فالصحابة الكرام كانوا يرون النور يخرج منه ﷺ لأنه مصدر النور. وهذا ما صرح به سيدنا حسان بن ثابت لما بعثه قومه لرؤية النبي ﷺ وقالوا له اذهب لرؤية هذا الرجل الذي هو نبي، وحسان كان شاعراً يعرف كيف يَصِفُ بشعرِهِ. فذهب فرأى النبي ﷺ وكان حسان كافراً لم يسلم بعد فحين قابله ثم رجع إلى أهله قال لهم:

لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى أَنْوَاره سَطَعَتْ ... وَضَعْتُ مِنْ خِيفَتِي كَفِّي عَلَى بَصَرِي
خَوْفًا عَلَى بَصَرِي مِنْ حُسْنِ صُورَتِهِ ... فَلَسْتُ أَنْظُرُهُ إِلَّا عَلَى قَدْرِي
الْأَنْوَارُ مِنْ نُورِهِ فِي نُورِهِ غَرَقَتْ ... وَالوَجْهُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ
رُوحٌ مِنَ النُّورِ فِي جِسْمٍ مِنَ القَمَرِ ... كَحُلَّةٍ نُسِجَتْ فِي الأَنْجُمِ الزُّهْرِ

٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت (استعرت من حفصة بنت رواحة إبره كنت أخيط بها ثوب رسول الله ﷺ فسقطت مني الإبرة فطلبتها فلم أقدر

(١) أنوار النبي ﷺ أسرارها وأنواعها ص ٧٦.
(٢) الدارمي (٦٠).

عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة من شعاع نور وجهه فضحكت، فقال يا حميراء لم ضحكت؟ قلت كان كيت وكيت فنادى بأعلى صوته يا عائشة الويل ثم الويل ثلاثا لمن حرم النظر إلى هذا الوجه ما من مؤمن ولا كافر إلا ويشتهي أن ينظر إلى وجهي)[١].

ونقول لمن سيتهمنا بذكر الأحاديث الضعيفة إنها آثار وردت عن الصحابة الكرام وهي توافق ما جاء في القرآن الكريم، فيصح الاستدلال بها وتنجبر إلى الحسن لغيره، خصوصا وإنها في المناقب والنبي ﷺ فوق كل منقبة متصورة ولا يعلم قدره وحقيقته إلا مولاه الذي خلقه فسواه وتولاه.

٧- **ذكر الإمام ابن الجوزي** عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال (لم يكن لرسول الله ﷺ ظل، ولم يُضم مع الشمس قط إلا غلب ضوؤه ضوء الشمس، ولم يُضم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه ضوء السراج)[٢]، فلم يُرَ له ظل؛ لأن نوره ليس كسائر الأنوار، فنوره ليس كنور المصباح الذي له ظل، بل نوره أقوى من نور الشمس لذلك صار ﷺ لا ظل له.

قال ابن حجر الهيتمي (ومما يؤيد أنه ﷺ صار نورا أنه كان إذا مشى في الشمس نهارا أو القمر ليلا لا يظهر له ظل؛ لأنه لا يظهر لكثيف، وهو ﷺ قد خلصه الله تعالى من سائر الكثائف الجسمانية وصيره نورا صرفا فلا يظهر له ظل خرقا للعادة، كما خرقت في شق صدره وإخراج قلبه مرارا ولم يتأثر بذلك)[٣].

---

(١) ابن عساكر في تاريخه ج٣ ص٣١٠.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ج٢ ص٦٥.

(٣) المنح المكية في شرح الهمزية ص٨٧.

٨- **ذكر ابن الجوزي في الوفا بأحوال المصطفى** (أن عبدالله والد النبي ﷺ مر على امرأة كاهنة متهودة يقال لها فاطمة فقالت له حين نظرت إليه (لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع عليَّ الآن) لما رأت في وجهه نور النبوة فأبى وتزوج السيدة آمنة فحملت منه. وبعدها مر بالمرأة اليهودية فقال لها (مالي أراك لا تعرضين عليَّ اليومَ ما عرضت بالأمس) فقالت فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي حاجة إنما أردت النور فأبى الله إلا أن يجعله حيث يشاء)[١].

وفي رواية ذكرها ابن كثير فقال عبد الله لهذه المرأة[٢]:

أَمَّـا الْـحَـرَامُ فَـالْـمَـمَاتُ دُونَـهْ وَالْـحِـلُّ لَا حِـلٌّ فَـأَسْـتَـبِـينَـهْ

يحمي الكريمُ عرضَـهُ ودينَـهُ فَـكَيْـفَ بِـالْأَمْـرِ الـذي تبغينه

٩- **ذكر القسطلاني في المواهب اللدنية** (ورأت أمه عند ولادته نورًا خرج منها أضاء له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات الأنبياء)[٣] وهذه الرؤية رؤية بصرية وليست رؤية منامية كما يدعي البعض وهذا ما ذكره الزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية («ورأت أمه» رؤية عين بصرية، لا منامية، كما زعم، «عند ولادته نورًا خرج منها، أضاء له قصور الشام» أي: أضاء النور وانتشر حتى رأت قصور الشام، وأضاءت تلك القصور من ذلك النور)[٤].

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى ج١ ص١٤٩، والأنوار المحمدية من المواهب اللدنية ص٢٠.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١٨٧.

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ج٢ ص٣٣٨.

(٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ج٧ص١٩٠، الوفا بتعريف حقوق المصطفى لابن الجوزي ص١٦٠.

١٠- قول سيدنا كعب بن زهير ﷺ في قصيدته المشهورة (بانت سعاد):

إن الرسول لنور يُستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

وقالها أمام النبي ﷺ ولم ينهه عن هذا الوصف بل كافئه وأعطاه بردته الشريفة؛ وما ذلك إلا لأنه تعرض لشيء من حقيقته ﷺ.

وذكر ابن الجوزي عن الشفاء أم عبد الرحمن قالت « **لما ولدت آمنة محمدا ﷺ ووقع على يدي استهل صارخا، فسمعت قائلا يقول: رحمك الله، قالت الشفاء فأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى بعض قصور الشام**».

المبحث الثالث

علم النبي ﷺ بالغيب

سنوضح في هذا المبحث عدة مسائل ونجيب عنها وهي، ما معنى الغيب؟ وما هي أقسامه؟ وهل النبي ﷺ يعلم الغيب؟

المسألة الأولى: تعريف الغيب لغة واصطلاحاً:

الغيب لغة: هو ما غاب عن الحواس وحجب عنها، وعكسه الشهادة. والغيب هو كل ما غاب عن الإنسان سواء كان محصلا في القلوب أم غير محصل.

الغيب اصطلاحا: العلم الذي يختص الله سبحانه وتعالى به دون غيره وقد يطلع الله عليه بعض خلقه.

وقد تعبدنا الله ﷻ بالإيمان بالغيب وجعله أول شروط المتقين فقال في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:١-٣]، **وقال** ﷻ ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ۝٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ [ق:٣١-٣٣].

فالله ﷻ غيب، والعرش غيب، والكرسي غيب، والحساب غيب، والصراط غيب، والجنة غيب والنار غيب، والسموات غيب، وعذاب القبر غيب، وكل ما أخبر به النبي ﷺ مما لا تدركه الحواس وما كان وما سيكون غيب. ونحن مأمورون بالإيمان بكل ما ورد عن الصادق المصدوق، وهذا العلم يسمى (السمعيات).

المسألة الثانية أقسام الغيب:

١- **الغيب المطلق: قال شيخنا الشيخ حسين الحلاب** ﷺ «الغيب المطلق هو الله، والله هو الغيب المطلق، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾. وهذا الغيب لا يدرك بالحواس، ولا يحاط به بالعقل ولا بالخيال (فكل ما خطر ببالك فالله على خلاف ذلك»، والعجز عن الإدراك غاية الإدراك.

وفسره بعض العلماء بعلم الله المطلق، لكنَّ علم الله ﷻ قد يأذن لبعض عباده بالاطلاع على شيء منه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، لذلك صنفناه ضمن النوع الثاني.

٢- **الغيب المقيد**: وهو من علم الله ﷻ الذي قد يُطلع عليه بعض عباده كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصالحين، كأخبار الأمم السابقة والسموات وما حوت، والجنة والنار والملائكة والجن والثواب والعقاب وكل ما ورد من (السمعيات)

٣- **الغيب النسبي**: وهو ما غاب عنك وقد يعلمه غيرك، مثال على ذلك: أنت مقيم في بغداد ولم تسافر إلى القاهرة، فالقاهرة بالنسبة إليك غيب، لكنّها ليست غيبا عن الذي سافر إليها واطلع على معالمها. وإذا ما سافرتَ إليها أصبحت بالنسبة لك شهادة.

المسألة الثالثة: هل النبي ﷺ يعلم الغيب؟

أما القسم الأول من الغيب وهو (الغيب المطلق) وهو الله ﷻ، فهذا لا يعلمه النبي ﷺ فضلا عمن دونه من المخلوقات، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠]، وقال ﷻ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

إذن فمن ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار، والذي يُحيط ولا يُحاط، فأنى لمخلوق أن يدركه أو يعرفه، وقال ﷻ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨]. فلا إدراك ولا إحاطة للذات، أما معرفة الأسماء والصفات وتجليات الذات فهذا جائز للنبي ﷺ وللأنبياء والمرسلين من بعده والعارفين بالله. فهو ﷺ القائل **(أنا أعلمكم بالله)**[1] وفي رواية **(أنا أعرفكم بالله)** أي أعلمكم بأسماء الله وصفاته وتجلياته فأنا الخبير في ذلك ﴿الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩].

وأما الغيب المقيد والنسبي وهو ما سوى الله ﷻ فقد أحاط به النبي ﷺ بإذن الله ﷻ، وأطلع عليه الأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون كل حسب مقامه ومرتبته. وسنذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك:

الأدلة من القرآن الكريم:

١ – قال الله ﷻ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، **قال القشيري** «أي تقاصرت العلوم عن الإحاطة بمعلوماته إلا بإذنه»[2].

وقال الطاهر بن عاشور «فقوله: إلا بما شاء تنبيه على أنه سبحانه قد يطلع بعض أصفيائه على ما هو من خواص علمه كقوله: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول»[3].

(١) البخاري (٢٠)

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري ج١ ص١٩٧

(٣) التحرير والتنوير ج٣ ص٢٢

وقال الشيخ الشعراوي «وقول الله: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ هو إذن منه سبحانه بأنه سيتفضل على خلقه بأن يشاء لهم أن يعلموا شيئا من معلومه، وكان هذا المعلوم خفيا عنهم ومستورا في أسرار الكون، ثم يأذن الله للسر أن ينكشف»[١].

قلت: وهذا قول كافة المفسرين وأهل العلم في تفسير هذه الآية، فأولى الناس بالاطلاع على الغيب هم الأنبياء والمرسلون؛ لأنهم مبلغون عن ربهم ودعاة إليه، وأكمل الأنبياء وأفضلهم وأعلمهم هو سيدنا محمد ﷺ بل هو مصدر نبوتهم وعلمهم وإمدادهم.

٢- قال الله ﷻ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وهذا نص واضح وصريح بأن الله ﷻ يجتبي من خلقه رسلا ويطلعهم على الغيب كي يكونوا دعاة إليه وخلفاءً له في كونه.

قال القشيري «وما كان الله ليطلعكم على الغيب: فإن أسرار الغيب لا تظهر للمتلوثين بأدناس البشرية، وإن الحق سبحانه مستأثر بعلم ما جل وقل، فيختص من يشاء من أنبيائه بمعرفة بعض أسراره»[٢].

وقال العلامة الألوسي «إن حاصل المعنى ليس لكم رتبة الاطلاع على الغيب وإنما لكم رتبة العلم الاستدلالي الحاصل من نصب العلامات والأدلة، والله تعالى سيمنحكم بذلك فلا تطمعوا في غيره فإن رتبة الاطلاع على الغيب لمن شاء من رسله، وأين أنتم من أولئك المصطفين الأخيار؟»[٣].

---

(١) تفسير الشعراوي ج٢ ص١١٠٠

(٢) لطائف الإشارات ج١ ص٣٠٠

(٣) روح المعاني ج٢ ص٣٤٩

وقال في موضع أخر «ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على ذلك ويهديكم إلى ما غاب عنكم من كنوز وجودكم وأسراره للتجانس التي بينكم وبينه، فآمنوا بالله ورسله بالتصديق والتمسك بالشريعة ليمكنكم التلقي منهم، وإن تؤمنوا بعد ذلك الإيمان الحقيقي الحاصل بالسلوك والمتابعة في الطريقة وتتقوا الحجب والموانع فلكم أجر عظيم من كشف الحقيقة، وقد يقال: إن لله تعالى غيوبا غيب الظاهر وغيب الباطن وغيب الغيب وسر الغيب وغيب السر، **فغيب الظاهر** هو ما أخبر به سبحانه عن أمر الآخرة، **وغيب الباطن** هو غيب المقدورات المكنونة عن قلوب الأغيار، **وغيب الغيب** هو سر الصفات في الأفعال، **وسر الغيب** هو نور الذات في الصفة، **وغيب السر** هو غيب القدم وسر الحقيقة والاطلاع بالواسطة على ما عدا الأخير واقع للسالكين على حسب مراتبهم، وأما الاطلاع على الأخير فغير واقع لأحد أصلا، فإن الأزلية منزهة عن الإدراك وخاصة بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك المعنى رؤيته بنعت الكشف له وابتسام صباح الأزل في وجهه لا بنعت الإحاطة والإدراك»[(١)].

وقال الشيخ الشعراوي «إنه جل وعلا يختار من رسله من يشاء ليطلعهم على بعض الغيب حتى يزدادوا ثقة في أن الله لا يتخلى عنهم، أي يعطي للرسول دلالات على المنافقين، حتى يزداد الرسول ثقة في أن الله لا يتخلى عنه»[(٢)].

٣- قال الله ﷻ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

---

(١) روح المعاني ج٢ ص٣٦٤

(٢) تفسير الشعراوي ج٣ ص١٨٩٩

قال ابن كثير «إِنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَالشَّهَادَةَ وَإِنَّهُ لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا مما أطلعه تعالى عليه، ولهذا قَالَ: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ وَهَذَا يَعُمُّ الرسول الملكي والبشري»[1].

وقال العلامة الألوسي «إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا، أي لكن الرسول المرتضى يظهره جل وعلا على بعض الغيوب المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا ما إما لكونه من مبادئها بأن يكون معجزة وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية وكيفيات الأعمال وأجزيتها ونحو ذلك من الأمور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة»[2].

قلت: وهذا عام بكافة الأنبياء والمرسلين فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين.

٤- قال الله ﷻ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ﴾ [هود:٤٩]، وقوله ﷻ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف:١٠٢]، وقوله ﷻ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران:٤٤].

في هذه الآيات من التكريم والتعظيم لسيدنا محمد الشيء العظيم، حيث إنه يخبر عن أقوام يسبقونه بألاف السنين، ويتكلمون بلغة غير لغته، ويسكنون

(١) تفسير القرآن العظيم ج٨ص٢٥٩

(٢) روح المعاني ج١٥ ص١٠٧.

بأرض غير أرضه، وهو الأمي الذي لم يطالع سير القوم ولم يدرس على أحد، ومع ذلك كله تراه يخبر بما دار بينهم بتفاصيل دقيقة من حديث في السر الذي لا يعلمه حتى أهل زمانهم.

قال القشيري «أي هذه القصص نحن عرفناكها وخاطبناك بمعانيها، وإن قصصنا نحن عليك هذا فعزيز خطابنا، وأعز وأتم من أن لو كنت مشاهدا لها»[١].

قال الشعراوي «أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشهد تلك الأزمان التي يأتيه خبرها عن الله، والرسول أمي بشهادة الجميع ولم يجلس إلى معلم. إذن فالذي اخترق حجاب الزمن وأخبر الرسول بتلك الأحداث هو الله»[٢].

٥- قال الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥].

لقد تجلى الله تعالى على حبيبه بالرؤية فأراه كل شيء، وعلمه مالم يكن يعلم، وهذا يدل على أن الله تعالى علمه من الأمور الغيبية مالم يحصل لغيره من ملك ولا رسول، وجعله حاكما حكما بين الخلائق وهذا يدل على عصمته في جميع أحواله ﷺ. والحاكم هو السيد المطلق الذي لا يستشير الناس في أحكامه، فأنت الحاكم الذي تجلينا عليه باسمنا الحكم، وحليناه بالحكمة، ثم أوكلنا إليه الأكوان وأمرها، ليهديها ويمدها ويحكم بينها، فأنت الحاكم النائب عن حضرتنا، و(الناس) تطلق ويراد بها البشر، وتطلق ويراد بها كل ما يتحرك، والمعنى الثاني هو المراد في هذه الآية، ودليلنا ما ورد السيرة الصحيحة أن الجمل

(١) لطائف الإشارات ج١ص٢٤٣

(٢) تفسير الشعراوي ج٤ص ٢٠٧٢

والحجر والجذع والضب والغزال اشتكت لرسول الله ﷺ، ولا يُشتكى إلا للحاكم، وحكم فيها النبي ﷺ وأنصفها في حكمه.

قال سيدي ابن عجيبة في تفسيره « أرى، هنا عرفانية، لا علمية، فلذلك لم تتعد إلى ثلاثة»[١].

و قال البقلي «تفضل على الناس بإنزال كتابه على نبيه ﷺ وأعطاه فهم خطابه، وكشف لآرائه العلية ﷺ حقائق حكمته الأزلية السابقة بمراده من عبودية عباده ووقوع صلاحهم من بيانه ﷺ موافقا لرضى الله ﷻ، وهذا معنى قوله «لتحكم بين الناس بما أراك الله» من أسرار، وفي قلبك من أنوار، فبنور الله يعرف خطاب الله، فيحكم به بين الخلق ليتبين الرشد من الغي، قال عليه الصلاة والسلام (**ألا إني أُتيت القرآن ومثليه معه**)، قال سهل: بما أراك الله أي بما علمك من الحكمة في القرآن والشريعة «[٢].

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي «قال بما أراك الله ولم يقل بما رأيت وهذا يدلك أنه يحكم بما يوحى به إليه لا فيما يراه برأيه.»[٣].

٦- قال الله ﷻ ﴿**وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ [النساء:١١٣].

قال ابن عجيبة «وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ من خفيات الأمور، التي لم تطلع عليها، أو من أمور الدين والأحكام، وَكانَ فَضْلُ اللهِّ عَلَيْكَ عَظِيماً، ولا فضل أعظم من النبوة، لا سيما وقد فضَّله على كافة الخلق وأرسله إلى كافة

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج١ ص٥٥٦.

(٢) عرائس البيان ج١ ص٢٧٢.

(٣) الفتوحات المكية ج٥ ص١٠١.

الناس، وهدى الله على يديه ما لم يَهدِ على يدِ أحد من الأنبياء قبله، إلى غير ذلك من الفضائل التي تفوت الحصر.... ثم قال مَن سبقت له العناية لا يصيبه سهمُ الجناية، فثبَّتَ أقدامهم على سير الطريق، حتى أظهر لهم معالم التحقيق، فكشف عن قلوبهم رين الحجاب، حتى فهموا أسرار الكتاب، ونبع من قلوبهم ينابيع الحِكَم والأسرار، واطلعوا على علوم لم يُحِط بها كتاب ولا دفتر، فحازوا في الدارين خيرًا جسيمًا، وكان فضل الله عليهم عظيمًا»[١].

وقال إسماعيل حقي «وعلم نبينا عليه السلام القرآن وأسرار الألوهية كما قال وعلمك ما لم تكن تعلم»[٢].

وقال الخازن «علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم، وقيل معناه وعلمك من خفيات الأمور وأطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من أحوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم، وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً»[٣].

وقال الرازي «وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مِنْ أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ، فَكَذَلِكَ يُعَلِّمُكَ مِنْ حِيَلِ الْمُنَافِقِينَ وَوُجُوهِ كَيْدِهِمْ مَا تَقْدِرُ بِهِ عَلَى الِاحْتِرَازِ عَنْ وُجُوهِ كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ، ثُمَّ قَالَ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً»[٤].

وقال العلامة الألوسي «وَعَلَّمَكَ بأنواع الوحي ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أي الذي لم تكن تعلمه من خفيات الأمور وضمائر الصدور، ومن جملتها وجوه إبطال كيد الكائدين، أو من أمور الدين وأحكام الشرع كما روي عن ابن عباس رضي

(١) البحر المديد في تفسير القران المجيد: ج١ ص٥٥٩.

(٢) روح البيان: ج٩ ص٢٨٩.

(٣) تفسير الخازن: ج١ ص٤٢٦.

(٤) التفسير الكبير: ج١١ ص٢١٧.

الله تعالى عنهما، أو من الخير والشر كما قال الضحاك، أو من أخبار الأولين والآخرين أو من جميع ما ذكر.

ومن الناس من فسر الموصول بأسرار الكتاب والحكمة، أي إنه سبحانه أنزل عليك ذلك وأطلعك على أسراره وأوقفك على حقائقه فتكون الجملة الثانية كالتتمة للجملة الأولى، واستظهر في البحر العموم. وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً لا تحويه عبارة ولا تحيط به إشارة، ومن ذلك النبوة العامة والرئاسة التامة والشفاعة العظمى يوم القيامة»[١]

وقال العلامة الألوسي في موضع آخر «وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ من علم عواقب الخلق وعلم ما كان وما سيكون وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً، حيث جعلك أهلا لمقام قاب قوسين أو أدنى ومنّ عليك بما لا يحيط به سوى نطاق الوجود»[٢].

قال مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي: وأطهر قلب وأنقاه هو قلب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فتنطبع به الأمور بكمالها.

قلت: يتبين لنا في هذه الآية أمران:

الأول: وكما وضحه المفسرون أن الله سبحانه علم حبيبه ﷺ مالم يكن يعلم، أي علمه كل شيء وهذا ما بينه ﷺ في حديث الترمذي حيث قال (**أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة**، قال أحسبه في المنام فقال: **يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟** « قال: « قلت: **لا** «، قال: «**فوضع يده بين كتفي**

(١) روح المعاني: ج٣ ص١٣٩.

(٢) روح المعاني: ج٣ ص١٥٢.

حتى وجدت بردها بين ثديي» أو قال: « **في نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات، والكفارات المكث في المساجد بعد الصلاة، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، قال: والدرجات إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام** »[1] وفي رواية (**فعلمت ما بين المشرق والمغرب**)[2] وفي راوية (**فتجلى لي كل شيء وعرفت**)[3].

والثاني: أن الله سبحانه علَّم نبيه ﷺ من غير واسطة، كما آتاه القرآن في حال روحانيته من غير واسطة ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦]، وكما علَّمه في مقام قاب قوسين من غير واسطة، وهذا فيه من التعظيم للنبي ﷺ ما لا تحويه عبارة، فعلَّمه ربه بغير واسطة عِلمَ الأولين والآخرين حتى يُعلِّم الأكوان ما أراده الله منها (**إنما أنا قاسم والله يعطي**).

٧- قال الله ﷻ ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس:١٢]، وقوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

ف(كل) من أقوى صيغ العموم ولا يوجد ما يخصصها، فأودع الله تعالى في القرآن كل شيء علمه من علمه وجهله من جهله، وفيه إشارة إلى أن النبي

(١) سنن الترمذي (٣٢٣٣)

(٢) سنن الترمذي (٣٢٣٤)

(٣) سنن الترمذي (٣٢٣٥)

ﷺ قد علم كل شيء بمفهوم هذه الآية، فلما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قالت **(كان خلقه القرآن)** فهو ﷺ القرآن المنظور الحامل للقرآن المسطور والمبين له، وقوله ﷺ **(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)**[١] والنبي ﷺ قد أحاط به وعلمه لذلك قال **(فتجلى لي كلُ شيء وعرفت)** فإذا جمعنا بين الآية والحديث سيظهر لنا شيء من علم النبي ﷺ.

وهذا ما أشار إليه إسماعيل حقي حيث قال «واعلم أن قلب الأنسان الكامل إمام مبين ولوح إلهي فيه أنوار الملكوت منقوشة وأسرار الجبروت منطبعة»[٢].

قال السلمي في تفسيره: وقيل: ذلك الكتاب الذي كتبت في قلوب أوليائي من محبتي ومعرفتي في الرضا بموارد قضائي، والكتاب هو العهد إلى الحبيب وموضع السر، والنبي صلى الله عليه وسلم مشرف على أسرار ما خوطب به، والأولياء والصديقون بعده على حسب معرفتهم وحسب الكشف لهم عن لطائفه[٣].

قال نجم الدين الأسدي في قوله تعالى» ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:٢]، بأن نزله على قلبك وشرح به صدرك، ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:٢]؛ أي: مما فيه من كثرة الحقائق والمعاني والأسرار والأنوار والأفعال؛ إذ جعل خالقك معاني القرآن نور قلبك بأنواره وحقائقه، فاتسع به قلبك وانفتح له صدرك»[٤].

(١) أبو داوود (٤٦٠٦).
(٢) روح البيان: ج٧ ص٣٧٦.
(٣) تفسير السلمي ج١ ص٤٧ـ٤٨.
(٤) التأويلات النجمية ج٣ ص٤.

فُعلم من كل ذلك أنه ﷺ أحاط بجميع أسرار ومعارف وعلوم القرآن الكريم الذي أودع الله فيه كل شيء.

٨- قال الله ﷻ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، و(كل) من ألفاظ العموم ولا يوجد ما يخصصها، وهذا نص واضح أن الله تعالى بيَّن وكشف لحبيبه ﷺ كل شيء بدون استثناء.

قال البقلي» وهو كتابه المكنون وخطابه المصون، يخبر عما كان وما يكون من كل حد وكل علم، وأنار سبيل الحقيقة، وأوضح طريق المعرفة، وهو سراج الله في العالم، يخرج بنوره كل طالب صادق من ظلمات الأوهام، وهو خطاب الحبيب الى الحبيب، وذوقه مع الحبيب، وسره معجون في الحبيب، وغرائبه مكشوفة له، وعجائبه مصونة في قلبه لا يعرفها غيره بالحقيقة، فمن تابعه وصل إليه بحظ وافر وأصل حاضر»[(١)].

قال العلامة الألوسي» أي مما كان وما يكون، فيفرق به بين المحق والمبطل، والصادق والكاذب، والمتبع والمبتدع، وقيل: كل شيء هو النبي صلى الله عليه وسلم، كما قيل إنه عليه الصلاة والسلام الإمام في قوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[يس:١٢][(٢)].

٩- قال الله ﷻ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة:٢٨٢]، وقال الله ﷻ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وفي هاتين الآيتين الكريمتين دليل واضح على أنه ﷺ أعلم خلق الله ﷻ، فقد أثبت الله

(١) عرائس البيان ج٢ ص٣٣١.

(٢) روح المعاني ج٧ ص٤٩٣.

تعالى تعليمه اللدني الغيبي لمن تحقق بمقام التقوى من الأولياء والصالحين فما بالك بمن قال «**إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أنا**»[١]، وقوله ﷺ «**قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ للهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ** »[٢] فيكون هو المُعَّلم الأول الذي علمه موالاه وهذا ما بيناه في حديث الترمذي الذي قال فيه (**فتجلى لي كلُ شيء وعرفت**).

قال ابن عجيبة «وَاتَّقُوا اللهَّ في مخالفة أمره ونهيه، وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُّ العلوم اللدنية»[٣].

وقال إسماعيل حقي «واتقوا الله ويعلمكم الله فهم أهل التقوى، ولذا علمهم الله ما لم يعلم أحدا من العالمين وإن كان القرآن لا تنقضي عجائبه»[٤].

وقال العلامة الألوسي «فعندما توجهت قلوبهم وهممهم إلى الله عز وجل ولجأت إليه سبحانه وتعالى وألقت عنها ما استمسك به الغير من دعوى البحث والنظر ونتائج العقول كانت عقولهم سليمة وقلوبهم مطهرة فارغة فعندما كان منهم هذا الاستعداد تجلى لهم الحق عيانا معلما، فاطلعتهم تلك المشاهدة على معاني تلك الكلمات دفعة واحدة، فعرفوا المعنى التنزيهي الذي سيقت له ويختلف ذلك بحسب اختلاف مقامات إيرادها وهذا حال طائفة منا وحال طائفة أخرى منا أيضا ليس لهم هذا التجلي لكن لهم الإلقاء والإلهام والكتاب وهم معصومون فيما يلقى إليهم بعلامات عندهم لا يعرفها سواهم فيخبرون بما خوطبوا به وبما ألهموا وما ألقي إليهم»[٥].

---

(١) البخاري (٢٠).

(٢) البخاري (٧٣٦٧)

(٣) البحر المديد: ج١ ص٣١٣.

(٤) روح البيان: ج٩ ص٣٣٨.

(٥) روح المعاني: ٨ ص٤٧٥.

قال مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي: قوله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أمرٌ جمعه الله تعالى مع التعليم، فكلما اتقى الإنسانُ ربَهُ سيعلمه الله أسباباً أخرى لتقواه، وكلما ازداد تقىً ازداد علماً، وكلما ازداد علماً ازداد تقىً، وأتقى الخلق سيدنا محمد ﷺ وأعلمهم بالله تعالى، فتكامل عنده ﷺ الطرفان العلم والتقوى.

قلت: فإذا كان هذا التعليم والتجلي بالعلوم والمعارف لمن اتقى من المؤمنين كما قاله هؤلاء العلماء في تفاسيرهم فما بالك بسيدنا محمد ﷺ فتنبه وتفكر لتنكشف لك خصائص الحبيب الأعظم وما خصه الله تعالى به.

١٠- قال الله ﷻ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم:١-١٧].

فهذه الآيات العظيمة فيها من الأسرار والخصائص والفضائل المحمدية ما لا يعرف حقيقتها إلا الله، واغترف العارفون بالله من معانيها كل حسب مقامه ومنزلته.

قال أهل التفسير أقسم الله تعالى بالنجم المعروف في السماء، لكنَّ العارفين بالله تنبهوا إلى إشارة أخرى توافق سياق الآيات فقالوا إن النجم المقصود هنا هو سيدنا محمد ﷺ؛ لأنه ﷺ نجم الهداية الذي تهتدي به الأكوان في ظلمات

الكفر والحيرة والجهل والضلال؛ ولأنه المخلوق الأول والنبي الأول الذي نبأه ربه وعلمه وآدم بين الروح والجسد، وعلمه مالم يكن يعلم، ولا يكون الهادي هاديا إلا إذا كان عالما عارفا خبيرا بما يدعو إليه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢]، فأقسم الله تعالى به، وقد سماه الله تعالى بالنجم في هذه الآية كما سماه سراجا منيرا في آية أخرى؛ لأنه يستضاء بنور وجهه وضياء علمه وهداه، وهذا ما ورد عن كثير من آل البيت والعارفين بالله.

قال القشيري «أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من المعراج»[١].

وقال العلامة الألوسي «قال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهويه نزوله من السماء ليلة المعراج، وجوز على هذا أن يراد بهويه صعوده وعروجه عليه الصلاة والسلام إلى منقطع الأين»[٢].

وهذا ما أشار إليه العارف بالله الشيخ يسري جبر الحسني في الصلوات اليسرية حيث قال «اللَّهُمَّ يَا قُدُّوسُ، صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّد، عَبْدِ القدوسِ، وَعَلَى آلِهِ، الَّذِي قَدَّسْتَهُ عَنِ الْهَوَى بِالْوَحْيِ، وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ بِالْعِصْمَةِ، وَهَدَيْتَهُ وَهَدَيْتَ بِهِ، فَكَانَ نَجْمَ هِدَايَتِكَ ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل:١٦]، ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النجم:١-٣].

إذن: هو ﷺ نجم الهداية والمعرفة والعلم والواسطة في كل ذلك.

---

(١) لطائف الإشارات: ج٣ ص٤٨٩٠.

(٢) روح المعاني: ج١٤ ص٥٥.

ثم قال الله ﷻ فيه ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ لأنه كان الله ولم يكن معه شيء، فخلق النور المحمدي فتجلى عليه بجميع أسمائه وصفاته وآتاه القرآن في حال روحانيته من دون واسطة لذلك قال ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ فعلم ما كان وما يكون وجعله واسطة الإيجاد والإمداد والهداية، ونصبه نبيا للأنبياء من عالم الذر فقال ﷺ **(كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد)** وأخذ العهد على الأنبياء والمرسلين بالإقرار بنبوته ورسالته والتبشير به ونصرته فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عمران:٨١]، فلا سبيل للضلال إليه بل انقشعت ظلمات الكفر والجهل ببزوغ نجمه ﷺ، أفلا يعلم من كانت هذه صفاته الغيب بتعليم الله له؟.

قال القشيري «معناه ما ضلّ صاحبكم، ولا غفل عن الشهود طرفة عين»[1].

فقل لي بربك كيف هو علم من لم يغفل عن شهود مولاه طرفة عين؟!.

قال إسماعيل حقي «وبه يشير إلى أن وجود النبي عليه السلام لما كان أول نور وحداني بسيط علوى لطيف شعشعاني تجلى به الحق وتعلقت به القدرة القديمة الأزلية من غير واسطة كما أخبر عنه بقوله أنا من الله والمؤمنون منى، وليست فيه ظلمة الوسائط الامكانية الموجبة للضلالة المنتجة للغي، بل هو على نوريته الأصلية البسيطة الشعشعانية المقتضية للهدى والتقوى المستدعية

(١) لطائف الإشارات: ج٣ ص٤٨٠.

للرشد والنهى باق كما هو ما أثرت فيه مصاحبتكم الطبيعية ولا مخالطتكم الصورية العنصرية، وما ضل بأمر الطبيعة وما غوى بحكم البشرية، فإنه صلّى الله عليه وسلّم قائم بالحق خارج عن الطبع كما أخبر عن نفسه الشريفة القدسية بقوله لست كأحدكم أبيت عند ربى يطعمني ويسقيني وهذا يدل على قيامه بالحق وخروجه عن الطبع وأحكامه»[1] انتهى.

ولذلك يقول العارف بالله الشيخ يسري جبر الحسني في دروسه وخطبه «النبي ﷺ بالله ونحن بالنبي ﷺ».

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم:٣-١٨] فهل نقول عن الذي لا ينطق عن الهوى والذي علَّمه الله بالوحي أنه لا يعلم الغيب؟!.

الذي وصل إلى مقام لم يصل إليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ورأى غيب الغيب، وأطلعه على أسرار الملك والملكوت والجبروت، فما كَذَبَ بما رأى وما كَذَبَ بما أخبر، وما زاغ بصره بما شاهد عن مولاه طرفة عين، أفتمارونه وتنكرون عليه يا من أنكرتم علمه بالغيب وأنكرتم خصوصيته عند مولاه.

وكفى بهذه الآيات دليلًا على علمه ﷺ بالأكوان وما حوت، وما كان

(١) روح البيان: ج٩ ص٢١٠ـ٢١١.

وما يكون بتعليم الله تعالى له. فصار ينظر بالحق ويسمع بالحق وينطق بالحق لأنه فنى بالحق. وتدنى من الحق فأعطاه مولاه ما لا يعلمه إلا هو، ثم تدلى إلى الأكوان ليقسم عليها مما أخذ من مولاه.

قال ابن عجيبة «ويمكن حمل الآية على قصة المعراج، أي: (علَّمه شديد القوى) وهو الله تعالى، (ذُو مِرة) أي: شدة ومتانة، ومنه: أسمه «المتين»، (فاستوى) بنوره أي: تجلّى بنور ذاته من ناحية الأُفق، أي: العلو (فتدلّى) ذلك النور (فكان قاب قوسين أو أدنى) وفي البخاري: «فدنا ربُّ العزة دنواً يليق بجلاله ومجده» ويرجع لتجلّيه لنبيه، وتنزُّله له، وتعرّفه له، وفي حديث الإسراء عنهـ عليه الصلاة والسّلام: «سمع النداء من العلي الأعلى: أُدن يا خير البرية، أُدن يا محمد، فأدناني ربي حتى كنتُ كما قال تعالى: ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى». قال القشيري: ويُقال: كان بينه وبين ربه قَدْر قوسين أو أدنى، فَأَوْحَى إِلى عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىَ. مَا كَذَبَ الْفُؤادُ أي: فؤاد محمد عليه السلام ما رَأى أي: من نور الحق تعالى الذي تجلّى له، أي: ما قال فؤاده لَمَّا رآه: لم أعرفك، ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه بقلبه، كما عرفه ببصره، وقيل: على إسقاط الخافض، أي: ما كذب القلب فيما رآه البصر، بل ما رآه ببصره حققه، وفي الحديث: سئل صلّى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت ربي بفؤادي مرتين»، حديث آخر: «جعل نور بصري في فؤادي، فنظرتُ إليه بفؤادي»، يعني انعكس نور البصر إلى نور البصيرة فرأى ببصره ما رأته البصيرة، وبهذا يرتفع الخلاف، وأنه رآه ببصر رأسه وقوله صلّى الله عليه وسلم، حين سأله أبو ذر: هل رأيت ربك؟ فقال: «نورَاني أراه» وفي رواية: «نورٌ أَنَّى أراه» ؟ بالاستفهام، وفي طريق آخر: «رأيت نوراً» وحاصلها: أنه رأى ذات الحق متجلية بنور من نور جبروته إذ لا

يمكن أن ترى الذات إلا بواسطة التجليات، كما هو مقرر عند محققي الصوفية، كما قال الشاعر:

وليستْ تُنال الذاتُ من غير مَظهرٍ ولو هُتك الإنسان من شدةِ الحرصِ

والحاصل: أنه عليه السلام رأى ربه بتجلٍّ خاص جبروتي مرتين، عند خرق الحُجب العلوية فوق العرش، عند السدرة وبعد ما جاوزها، وأما رؤيته عليه السلام لله تعالى في مظاهر الكائنات ففي كل حين، لا يغيب عنه طرفة عين.

إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى، ظرف للرؤية، أي: لقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها، مما لا يكتنهه الوصف، ولا يفي به البيان، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، استحضاراً لصورتها البديعة، أو للإيذان باستمرار الغشيان وتجدُّده.

ما زاغَ الْبَصَرُ أي: بصر محمد صلى الله عليه وسلم، أي: ما عدل عن رؤية العجائب التي مُكِّنَ من رؤيتها، وَما طَغى وما جاوز ما أمر برؤيته، لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى أي: والله لقد رأى من عجائب الملكوت وأسرار الجبروت وما لا يفي به نطاق العبارة، وقد دُوِّنَتْ هنا كُتبٌ في عجائب ما رآه صلّى الله عليه وسلم ليلة المعراج.

ثم دنا من القلب فتدلّى، فكان من القلب قاب قوسين أو أدنى، فأوحى اللهُ تعالى بواسطة ذلك الوارد إلى عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىَ من علوم الحقائق والأسرار، ومن مكاشفات غيوب الأقدار، ما كذب الفؤادُ فيما رأى لأنه حق، لكن قهرية العبودية غيَّبت عنه تعيين وقت وقوعه. ولقد رآه، أي: رأى القلبُ أسرار ذات الحق، نزلةً أخرى في عالم الجبروت، الخارج عن دائرة التجليات الكونية، وهي

الأسرار اللطيفة، المحيطة في الأنوار الملكوتية والملكية، عند سِدرة المنتهى، وهي شجرة القبضة المحمدية، التي انتهى إليها علم العلماء، وأرواح الشهداء، إذ لا يخرج عن دائرتها أفكار العارفين. عندها جنة المأوى التي يأوي إليها أفكار العارفين وأسرار الرّاسخين، إذ يغشى السدرةـ أي: شجرة الكونـ ما يغشى من الفناء والتلاشي عند سطوع شمس الحقائق، ما زاغ بصرُ البصيرة عن شهود تلك الأسرار، وما حجبه عنها أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسي لتلطُّف تلك العوالم في نظر العارف، وما طغى: وما جاوز العبودية حتى يطمع في الإحاطة بعظمة كنه الربوبية، فإنَّ الإحاطة لا تُمكن، لا في هذه الدار، ولا في تلك الدار، بل يبقى الترقي في الكشوفات، والمزيد من حلاوة الشهود أبداً سرمداً، لقد رأى هذا القلب الصافي من عجائب ربه الكبرى، حيث وسع مَن لم تسعه أرضه ولا سماؤه.»[1].

فتفكر أيها الحبيب بهذا الكلام كي تعرف شيئاً من خصوصية الحبيب ﷺ.

وقال القشيري «ومتى ينطق عن الهوى وهو في محل النجوى؟ فى الظاهر مزموم بزمام التقوى، وفي السرائر في إيواء المولى، مصفّى عن كدورات البشرية، مرقّى إلى شهود الأحدية، مكاشف بجلال الصمدية، مختطف عنه بالكلّيّة، لم تبق منه إلا للحقّ بالحقّ بقية ومن كان بهذا النعت متى ينطق عن الهوى؟ ثم دنى: ويقال: دنا محمد من ربّه بما أودع من لطائف المعرفة وزوائدها، فتدلّى بسكون قلبه إلى ما أدناه. وكان بينهـ صلى الله عليه وسلمـ وبين الله قدر قوسين: أراد به دنوّ كرامة لا دنوّ مسافة»[2]

(١) البحر المديد: ج٥ ص٤٩٩ـ٥٠٤)

(٢) لطائف الإشارات: ج٣ ص٤٧٩ـ٤٨١.

قال إسماعيل حقي «وما ينطق عن الهوى وفيه إشارة إلى أن النبي عليه السلام قد فنى عن ذاته وصفاته وأفعاله في ذات الله وصفاته وأفعاله، بحيث لم يبق منه لا اسم ولا رسم ولا أثر ولا عين، فكان ناطقا بنطق الحق لا ينطق البشرية، فلا يتوهم فيه أن يجرى عليه الخطرات الشيطانية والهواجس النفسانية»[(١)].

١١ – قال الله ﷻ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

صَدَّر الحق سبحانه كلامه بكلمة (سبحان) والتي تدل على عظمة قدرته تعالى الذي يفعل ما يشاء متى شاء، فلا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير، ولبيان عظمة المُتَكَلَّم عنه ﷺ وعظمة هذه المعجزة، حيث أطلعه الله سبحانه وتعالى على خزائن علمه وعجائب قدرته، وأطلعه على مقامات الأنبياء وعبادتهم في قبورهم صلى الله عليهم أجمعين، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ (**أَتَيْتُ وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**)[(٢)]، ثم أن الله تعالى جمع له الأنبياء والمرسلين في بيت المقدس وأمَّهم، وكما هو معلوم أنهم منتقلون إلى الرفيق الأعلى فهم من الغيب والسمعيات بالنسبة لنا ومن الشهود والعيان بالنسبة له ﷺ، فهم نوابه وتابعون له في التبليغ والدعوة إلى الله ﷻ، وأطلعه الله تعالى على بيت المقدس وعلى قبة الصخرة، ومن ثم عرج به إلى مقام قاب

(١) روح البيان: ج٩ ص٢١٣.

(٢) مسلم (٦٣٠٦).

قوسين أو أدنى، وهناك لطيفة ونكتة في إسراءه ليلا وهو وقت التجلي ولقاء الحبيب بحبيبه والأنس والوصال، فأسرى به ليلا لينير به الأماكن التي سينزل بها؛ لأنه ﷺ السراج المنير، لذلك بارك الله تعالى المسجد الأقصى وما حوله ببركة نزوله ﷺ به والصلاة فيه، ثم صرَّح الله سبحانه بأنه كشف لحبيبه وأراه من عظيم آياته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:١]، ثم وصفه تعالى بأنه ﷺ سميع بصير، سمع وأبصر عجائب قدرة الله في ملكه وملكوته وجبروته، ولا تعترض علينا أيها الحبيب في إرجاع صفتي السمع والبصر إلى الحبيب الأعظم في هذا المقام فقد وصف الله تعالى الأنسان بأنه سميع بصير فقال ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان:٢]، فناسب المقام في هذه الآية إرجاع الصفتين للنبي ﷺ.

قال إسماعيل حقي «لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا غاية للإسراء، وإشارة إلى أنَّ الحكمة في الإسراء به اراءة آيات مخصوصة بذاته تعالى التي ما شرف بإراءتها أحدا من الأولين والآخرين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين، فإنه تبارك وتعالى أرى خليله عليه السلام وهو أعز الخلق عليه بعد حبيبه الملكوت كما قال وَكَذلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وأرى حبيبه آيات ربوبيته الكبرى كما قال لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى ليكون من المحبين المحبوبين فمن تبعيضيه؛ لأن ما أراه الله تعالى فى تلك الليلة إنما هو بعض آياته العظمى، وإضافة الآيات إلى نفسه على سبيل التعظيم لها؛ لأن المضاف إلى العظيم عظيم..... فمنها فى الآفاق ما ذكره عليه السلام من النجوم والسموات والمعارج العلى والرفرف الأدنى وصرير الأقلام وشهود الألواح وما غشى الله سدرة المنتهى من الأنوار

وانتهاء الأرواح والعلوم والأعمال إليها ومقام قاب قوسين من آيات الآفاق ومنها آيات الأنفس كما قال سبحانه سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ، وقوله أَوْ أَدْنى من آيات الأنفس وهو مقام المحبة والاختصاص بالهو، فَأَوْحى إلى عَبْدِهِ ما أَوْحى، مقام المسامرة وهو الهوّ غيب الغيب وأيده ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى، والفؤاد قلب القلب وللقلب رؤية وللفؤاد رؤية فرؤية القلب يدركها الأعمى كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]والفؤاد لا يعمى؛ لأنه لا يعرف الكون وما له تعلق إلا بسيده، فان العبد هنا عبد من جميع الوجوه منزه مطلق التنزيه في عبوديته، فما نقل عبده من مكان إلى مكان إلا ليريه من آياته التي غابت عنه»[(١)]انتهى.

فتبين مرة أخرى خصوصية النبي ﷺ وأنه ليس كالبشر، وما شابه البشر إلا بالاسم والرسم، أما من كانت هذه خصائصه وصفاته فليس له شبيه من خلق الله تعالى، وعلى هذا فهذه الآية دليل آخر على أن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على الغيب.

١٢- قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩]، في هذه الآية الجامعة المانعة بيَّن الله ﷻ أنه أودع جميع العلوم والمعارف والهداية والرحمة وكل شيء في كتابه العزيز، الذي أنزله على قلب سيدنا محمد ﷺ، بل أتاه أكثر من هذا فهو ﷺ القائل (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)[(٢)] فالقرآن فيه أخبار أهل السماوات

(١) روح البيان ج٥ ص١٠٥.

(٢) أبو داوود (٤٦٠٦).

وأهل الأرض، وجميع ما خلق الله تعالى، وما كان وما سيكون، وكل هذا علمه النبي ﷺ من القرآن وأكثر من ذلك، يقول سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما (جمع الله فى هذا الكتاب علوم الأولين وعلوم الآخرين، وعلم ما كان وعلم ما يكون، والعلم بالخالق ـ جل جلاله ـ فى أمره وخلقه)[1].

قال مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي: الأصل في العموم أن يبقى على عمومه في دلالته على الاستغراق مالم يرد ما يخصصه. فهو في الأصل شاملٌ لكلِّ شيء إلا من رأى التخصيص قد طرأ عليه كما ذهب إلى ذلك ابن عاشور حيث قال: «﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ يُفِيدُ الْعُمُومَ إِلَّا أَنَّهُ عُمُومٌ عُرْفِيٌّ فِي دَائِرَةِ مَا لِمِثْلِهِ تَجِيءُ الْأَدْيَانُ وَالشَّرَائِعُ: مِنْ إِصْلَاحِ النُّفُوسِ، وَإِكْمَالِ الْأَخْلَاقِ، وَتَقْوِيمِ الْمُجْتَمَعِ الْمَدَنِيِّ، وَتَبَيُّنِ الْحُقُوقِ، وَمَا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الدَّعْوَةُ مِنَ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَصِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَأْتِي فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ الْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ وَالدَّقَائِقِ الْكَوْنِيَّةِ، وَوَصْفِ أَحْوَالِ الْأُمَمِ، وَأَسْبَابِ فَلَاحِهَا وَخَسَارِهَا، وَالْمَوْعِظَةِ بِآثَارِهَا بِشَوَاهِدِ التَّارِيخِ، وَمَا يَتَخَلَّلُ ذَلِكَ مِنْ قَوَانِينِهِمْ وَحَضَارَاتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ.

وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ كُلِّهِ أسرار وَنُكَتٌ مِنْ أُصُولِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ صَالِحَةٌ لأن تَكُونَ بَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ الْحَقِيقِيِّ إِنْ سَلَكَ فِي بَيَانِهَا طَرِيقَ التَّفْصِيلِ وَاسْتُنِيرَ فِيهَا بِمَا شَرَحَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا قَفَاهُ بِهِ أَصْحَابُهُ وَعُلَمَاءُ أُمَّتِهِ، ثُمَّ مَا يَعُودُ إِلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ مِنْ وَصْفِ مَا أَعَدَّ لِلطَّائِعِينَ وَمَا أَعَدَّ لِلْمُعْرِضِينَ، وَوَصْفِ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ.

(١) جامع الأصول لابن الأثير: ٨/ ٤٦٤: حديث رقم/ ٦٢٣٣.

فَفِي كُلِّ ذَلِكَ بَيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ يُقْصَدُ بَيَانُهُ لِلتَّبَصُّرِ فِي هَذَا الْغَرَض الْجَلِيل، فيؤول ذَلِكَ الْعُمُومُ الْعُرْفِيُّ بِصَرِيحِهِ إلى عُمُومٍ حَقِيقِيٍّ بِضِمْنِهِ وَلَوَازِمِهِ. وَهَذَا مِنْ أَبْدَعَ الْإِعْجَازِ»[1].

لذلك وصفه بالشهيد في صدر الآية؛ لأن الشاهد لا يشهد إلا إذا كان عالما بما سيشهد به متيقنا منه.

١٣- قال الله ﷻ ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]. النبي ﷺ عالِم أنه لا إله إلا الله من عالم البَدء فهو القائل **(كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)** فالأمر من الله تعالى لنبيه ﷺ في هذه الآية هو أمر أيجاد وتكوين لا أمر فعل، فبمجرد قوله تعالى لنبيه (فاعلم) أوجد العلم الشامل الكامل بالذات المحمدية، فعلم النبي ﷺ أسرار لا إله إلا الله وما اشتملت عليه هذا الكلمة العظيمة من علوم ومعارف، والتي يندرج تحتها كل مقامات ودرجات العلم بجميع أنواعه وأشكاله وكيفياته.

قال إسماعيل حقي «وذلك لأنه صار عالما بعلم الله تعالى لا بعلم نفسه وهو سر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣]، وإنما علمه ذلك حين قال ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي فاعلم بعلم الله الذي دعيت بالجذبة إليه أن لا إله في الوجود إلا الله، فان العلم الإلهي محيط بالوجود كله، قال قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً فانت بعلمه محيط بالوجود كله فتعلم حقيقة إنَّ ليس فى الوجود إله غير الله»[2].

---

(١) التحرير والتنوير ج١٤ص٢٥٢.

(٢) روح البيان ج٤ ص٣٧.

١٤ - قال الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب:٤٥].

وصف الله تعالى سيدنا محمد ﷺ بالشاهد، وجاء بها على صيغة التنكير، والتنكير يفيد العموم، ليدل على أنه ﷺ شاهدٌ على الأمم التي سبقته والتي ستأتي بعد انتقاله إلى جوار ربه، بل وشاهدٌ على الأكوان، فالشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة.

قال ابن عجيبة «قال الورتجي: إنا أرسلناك بالحقيقة شاهداً، أنت شاهِدُنا، شاهدناك وشهدت علينا، فألبستك أنوار ربوبيتي، فمَن شهدك بالحقيقة فقد شَهِدنَا. قُلتُ: لأن نوره صلى الله عليه وسلم أول نور ظهر من نور الحق، فمَن شَهِدَه شَهِدَ الحق. ثم قال: ومَن نظر إليك فقد نظر إلينا. قال صلى الله عليه وسلم: «من عرفني فقد عرف الحق، ومَن رآني فقد رأى الحق»»[١].

وقال الخازن «يا أيها النَّبِيُّ أنا أَرْسَلْناكَ شاهِداً أي للرسل بالتبليغ، وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة»[٢].

وقال ابن عطية «معناه على أمتك بالتبليغ إليهم وعلى سائر الأمم في تبليغ أنبيائهم ونحو ذلك ومُبَشِّراً معناه للمؤمنين»[٣].

قال الطاهر بن عاشور «وَالشَّاهِدُ: الْمُخْبِرُ عَنْ حُجَّةِ الْمُدَّعِي الْمُحِقِّ وَدَفْعِ دَعْوَى الْمُبْطِلِ، فَالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاهِدٌ بِصِحَّةِ مَا هُوَ صَحِيحٌ مِنَ

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٤ ص٤٤٥.

(٢) تفسير الخازن ج٣ ص٤٣٠.

(٣) تفسير ابن عطية ج٤ ص٣٨٩.

الشَّرَائِعِ وَبَقَاءِ مَا هُوَ صَالِحٌ لِلْبَقَاءِ مِنْهَا وَيَشْهَدُ بِبُطْلَانِ مَا أُلْصِقَ بِهَا وَبِنَسْخِ مَا لَا يَنْبَغِي بَقَاؤُهُ مِنْ أَحْكَامِهَا بِمَا أخبر عَنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]. وَفِي حَدِيثِ الْحَشْرِ: «يَسْأَلُ كل رَسُول هَل بَلَّغَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ اللهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ».

وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاهِدٌ أَيْضًا عَلَى أُمَّتِهِ بِمُرَاقَبَةِ جَرْيِهِمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ فِي حَيَاتِهِ وَشَاهِدٌ عَلَيْهِمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]] فَهُوَ شَاهِدٌ عَلَى الْمُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِهِ وَعَلَى الْمُعْرِضِينَ عَنْهَا، وَعَلَى مَنِ اسْتَجَابَ لِلدَّعْوَةِ ثُمَّ بَدَّلَ.»[1].

قلت: بعد كل ما ذكرنا من أقوال من المفسرين المحققين، ثبت بأنه ﷺ شاهدٌ على أمته وعلى الأمم السابقة وعلى الأنبياء وعلى سائر الخلق، وفي هذا إشارة إلى علمه ﷺ بما كان وبما سيكون من أحوال الأمم، وهذا علم بالغيب وما وصفه ربه بالشاهد إلا لأنه مشاهد.

١٥- قال الله ﷻ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح:١]. وللفتح معانٍ كثيرة، فمنها النصر، ومنها فتح البلاد لذلك قال قسم من أهل التفسير: إن المقصود بالفتح هو فتح مكة وفتح الحديبية.

والفتح بمعنى إزالة الباب ورفع الحجاب، وعلى هذا يكون المعنى قد كان الباب مفتوحا لك يا أفضل الرسل وأكملهم من عالم البَدء وأنت نبيٌّ وآدم بين الروح والجسد، لذلك جاء بها بصيغة الماضي (فتحنا) والآن فتحنا

(١) التحرير والتنوير ج٢٢ ص٥٢.

الباب ورفعنا الحجاب بالكلية لتشاهد من عظمة الربوبية والألوهية وتجلياتها ما لا يكون لغيرك؛ لأنك الدرة اليتيمة التي خلقت العوالم من أجلها؛ ولأنك الحجاب الأعظم بيني وبين الخلق، والواسطة لمن أراد الوصول إلينا، فأعطيناك مفتاح أبواب الحضرات لتُدخل إلى حضرتنا من تراه أهلا لها. وأمددناك بأسرارنا ورحمتنا، وتجلينا عليك بجميع أسماءنا وصفاتنا، لتمد العوالم على حسب مرادنا فأنت إمامهم وأنت أمامهم.

قال ابن عجيبة «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، بأن كشفنا لك عن أسرار ذاتنا، وأنوار صفاتنا، وجمال أفعالنا، فشاهدتنا بنا»(١).

وقال نجم الدين الأسدي في التأويلات النجمية «إنا فتحنا لك فتحا مبينا يشير إلى فتح باب قلبه عليه السلام إلى حضرة ربوبيته بتجلي صفات جماله وجلاله وفتح ما انغلق على جميع القلوب»(٢).

وقال البقلي «نبهنا الله في ذلك من سر عجيب، وهو أن أبواب كشف القدم مسدودة على أهل الحدثان، ولم يظهر لأحد عين ذات الأزل، ففتح الله أبوابه لعين محمد صلى الله عليه وسلم حتى رآه كفاحا، وفتح سمعه فأسمعه كلامه شفاها، وفتح باب قلبه وروحه وسره فعرف نفسه لها، حتى وجدت أبواب خزائن علومه الغيبية مفتوحة، وفتح الله جميع أبواب وجود حبيبه صلى الله عليه وسلم حتى الشعرة على بدنه، وجعلها عيونا مفتوحة بمفاتيح توحيده وأنوار حقيقته حتى رآه بجميع عيون وجوده»(٣).

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٥ ص ٣٨٥.

(٢) التأويلات النجمية ج٥ ص٣٥٥.

(٣) عرائس البيان في حقائق القرآن ج٣ ص٣١٣.

قال العارف بالله الشيخ عبد العزيز الدباغ جواباً على سؤال مريده الشيخ أحمد بن المبارك عن زمن وقع الفتح للنبي ﷺ: ومتى وقع؟ فقال: من صغره، فإنه ﷺ لم يحجب عنه تعالى.

قال رضي الله عنه: الفتح يختلف بالقوة والضعف، فكل على ما يطيق، والقوة التي في النبي ﷺ عقلا وروحا ونفسا وذاتا وسرا وحفظة لم تثبت لغيره، حتى لو جمع أهل الفتح كلهم من الأنبياء وغيرهم وجعلت القوة المشار إليها عليهم لذابوا جميعا وتهافتت ذواتهم، والمراد بقوله بالذنب في قوله تعالى: ﴿**مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ [الفتح:٢] سببه وهو الغفلة وظلام الحجاب الذي في أصل نشأة الذات الترابية. قال: وهذه الغفلة والحجاب للذنوب بمثابة الثوب العفن والوسخ لنزول الذباب عليه، فمتى كان ذلك الثوب على أحد نزل عليه الذباب، ومتى زال عنه ذلك الثوب زال عنه الذباب، فالثوب مثال الحجاب، والذباب مثال للذنوب، فمن سمى ذلك الثوب ذبابا فهي تسمية سائغة، فكذلك المراد هنا بالذنب هو الحجاب، والمراد بما تقدم وما تأخر الكناية عن زواله بالكلية، فكأنه يقول: إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليزول عنك الحجاب بالكلية، ولتتم النعمة منا عليك، ولتهتدي وتنصر، فإنه لا نعمة فوق نعمة زوال الحجاب، ولا هداية فوق هداية المعارف، ولا نصرة أبلغ من نصرة من كانت هذه حالته»[1].

قلت: وبعد ما قلنا وما قاله العارفون بالله قد ثبت لنا أن النبي ﷺ قد أطلعه الله تعالى على ما كان وما سيكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأطلعه على أسرار الجبروت والملكوت، وأطلعه على أسرار أسمائه وصفاته وعلى جميع حضراته بل جعله إماما في جميعها.

(١) الابريز من كلام سيدي عبد العزيز: ٣٤٣.

١٦- قال الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]، لو لم نستدل إلا بهذه الآية على علمه ﷺ بالغيب لكفتنا دليلاً، حيث جعله نائبا له في جميع الحضرات والأكوان، وجعله الخليفة الأعظم من يوم «كان الله ولم يكن معه شيء» وتجلى على الخليفة بتجليات جميع الأسماء والصفات والذات لذلك قال ﴿يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بالاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات، والاسم الذي يدل على الذات، فصار مظهرا للحق عز وجل في الأكوان، ويلزم منه أن يكون الخليفة عالماً بكل ما استُخلف عليه، جملةً وتفصيلا. وفيها دليل على أنه ﷺ يد الله تعالى في الأكوان التي تُبايع، والتي بيدها مفاتيح خزائن الملك والملكوت والجبروت، والتي بيدها مفتاح الجنة، والتي بيدها مفتاح الحضرات، فأعطاه التصريف والتصرف بكل شيء. وهذه إحدى صلاحيات الخليفة الأعظم.

١٧- قال الله ﷻ ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم:١-٢] أقسم الله تعالى بالنون وهو من الحروف المقطعة ومن المتشابه في القرآن الكريم وله تأويلات أخرى ليس هذا موضع بسطها، وأقسم بالقلم وما خط في اللوح المحفوظ، ثم قال ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ والجن في اللغة هو الستر، وما سُمي الجن جناً إلا لاختفائه عن أعين البشر، وعلى هذا يكون المعنى، وما أنت يا حبيبي بمستور عما كان في البَدء؛ لأنك كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد، ولا بمستور عما سيكون في الأبد؛ لأنك رسولي الذي أطلعته على خزائن الملك والملكوت والجبروت وأنزلت عليه كتابي الذي ذكرت فيه ما كان وما يكون.

فنستدل بهذه الآية العظيمة على علمه ﷺ واطلاعه على الغيب.

١٨- قال الله ﷻ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التكوير:٢٤]، أي ليس رسولي بمتهم بما يخبركم به من الغيوب، فلقد رأى من آياتي ما رأى بعين البصر

والبصيرة، وعلمته كل شيء. وهو ليس بضنين أي ليس ببخيل فيبخل بما علم كما يبخل الكهان والرهبان بل يخبر كلاً منكم على قدر ما يستحق من اطلاعه على خزائن علمي وملكي وملكوتي.

قال ابن عجيبة في البحر المديد «ليس العارف الذي يُخبر عن أسرار التوحيد الخاص بمُتَّهَم، ولا بخيل، بل يجود به على مَن يستحقه»[١].

وقال العلامة الألوسي «وقرأ ابن مسعود وابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب ومجاهد وغيرهم ومن السبعة النحويان وابن كثير «بظنين» بالظاء أي بمتهم من الظنّة بالكسر بمعنى التهمة وهو نظير الوصف السابق ب أَمِينٍ. وقيل معناه بضعيف القوة على تبليغ الوحي من قولهم: بئر ظنون إذا كانت قليلة الماء والأول أشهر. ورجحت هذه القراءة عليه بأنها أنسب بالمقام لاتهام الكفرة له صلّى الله تعالى عليه وسلم ونفي التهمة أولى من نفي البخل وبأن التهمة تتعدى بعلى دون البخل فإنه لا يتعدى بها إلّا باعتبار تضمينه معنى الحرص ونحوه»[٢].

وقال الطاهر بن عاشور «الضَّمِيرُ عَائِدٌ إلى صاحِبُكُمْ ﴿**وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير:٢٢]، كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَدَّعُوا أَنَّ جِبْرِيلَ ضَنِينٌ عَلَى الْغَيْبِ، وَإِنَّمَا ادَّعَوْا ذَلِكَ لِلنَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظُلْمًا وَزُورًا، وَلِقُرْبِ الْمَعَادِ.

والْغَيْبِ: مَا غَابَ عَنْ عِيَانِ النَّاسِ، أَوْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَهُوَ تَسْمِيَةٌ بِالْمَصْدَرِ. وَالْمُرَادُ مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ إِلَّا أَنْ يُطْلِعَ عَلَيْهِ بَعْضَ أَنْبِيَائِهِ، وَمِنْهُ وَحْيُ الشَّرَائِعِ،

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٧ ص٢٥٢.

(٢) روح المعاني (تفسير الألوسي ج١٥ ص٢٥٦.

وَالْعِلْمُ بِصِفَاتِ اللهِ تَعَالَى وَشُؤُونِهِ، وَمُشَاهَدَةُ مَلَكِ الْوَحْيِ، وَتَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ»[١].

وقال الرازي «وَمَا مُحَمَّدٌ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ، وَالْغَيْبُ هَاهُنَا الْقُرْآنُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَالْقَصَصِ، وَالظَّنِينُ الْمُتَّهَمُ يُقَالُ: ظَنَنْتُ زَيْدًا فِي مَعْنَى اتَّهَمْتُهُ، وَلَيْسَ مِنَ الظَّنِّ الَّذِي يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَالْمَعْنَى مَا مُحَمَّدٌ عَلَى الْقُرْآنِ بِمُتَّهَمٍ أَيْ هُوَ ثِقَةٌ فِيمَا يُؤَدِّي عَنِ اللهِ..... ثم قال قَالَ الْفَرَّاءُ: يَأْتِيهِ غَيْبُ السَّمَاءِ، وَهُوَ شَيْءٌ نَفِيسٌ فَلَا يَبْخَلُ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: الْمَعْنَى أَنَّهُ يُخْبَرُ بِالْغَيْبِ فَيُبَيِّنُهُ وَلَا يَكْتُمُهُ.»[٢].

قال مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي: النبي ﷺ ليس ظنيناً، أي ليس متهماً في عدم تبليغ ما يجب عليه إيصاله إلى الخلائق، وهذا شامل للقرآن وغيره، لقوله ﷺ **(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)**[٣] لذلك قال الله تعالى ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾**﴾ [التكوير:٢٤]، ليشمل القرآن والذي مثله مما هو عند رسول الله ﷺ.

إذن: يثبت الله ﷻ لنبيه ﷺ الاطلاع على الغيب ويرد على الذين أنكروا هذا الأمر، فيقول لهم هذا نبيي ورسولي الذي علمته الغيب وما هو على الغيب بمتهم وبخيل، بل يجود عليكم بما علمته من الغيب الموجود في القرآن وفي غيره.

١٩- قال الله ﷻ ﴿**ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾**﴾ [العلق:١-٥]

(١) التحرير والتنوير: ج٣٠ ص١٦٠.

(٢) التفسير الكبير مفاتيح الغيب: ج٣١ص٧٠.

(٣) أبو داوود (٤٦٠٦).

وفي قوله تعالى (اقرأ) دليل على أن النبي ﷺ كان عالما عارفا مسبقا بكلام الله تعالى؛ لأنه تلقاه من خلال الروحانية في عالم الذر في زمن كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ولقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل:٦]، فقال له (اقرأ) أي بلغ الكلام القديم الذي تلقيته في حال روحانيتك بلسان الحادث، وبينه للناس ليهتدوا به وبك إلينا. فاقرأ باسم ربك الأكرم الذي تكرم عليك وعلمك علم الأولين والآخرين فعلمت كل شيء بالله.

ثم قال بعد ذلك ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ أي علَّم الأنسان الكامل قبل خلق الخلق ما لا يعلم؛ حتى يكون الأنسان الكامل معلما للأكوان، وعلَّم آدم عليه السلام وجعله خليفة في الأرض وأسجد له الملائكة وما نال سيدنا آدم عليه السلام ما نال إلا ببركة وجود النور المحمدي فيه.

قال الشيخ الشعراوي «لقد كان محمد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام في غار حراء حينما جاءه جبريل وكان أول لقاء بين الملك الذي يحمل الوحي بالقرآن. وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قول الحق تبارك وتعالى: {اقرأ}. واقرأ تتطلب أن يكون الأنسان إما حافظا لشيء يحفظه، أو أمامه شيء مكتوب ليقرأه ولكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ما كان حافظا لشيء يقرأه وما كان أمامه كتاب ليقرأ منه، وحتى لو كان أمامه كتاب فهو أميّ لا يقرأ ولا يكتب. وعندما قال جبريل: {اقرأ} قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ما أنا بقارئ، وكان الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام منطقيا مع قدراته. وتردد القول ثلاث مرات. جبريل عليه السلام بوحي من الله سبحانه وتعالى يقول للرسول {اقرأ} ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول ما أنا بقارئ. ولقد أخذ خصوم الإسلام هذه النقطة. وقالوا كيف يقول الله لرسوله اقرأ ويرد الرسول ما أنا بقارئ.

نقول إن الله تبارك وتعالى. كان يتحدث بقدراته التي تقول للشيء كن فيكون، بينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يتحدث ببشريته التي تقول إنه لا يستطيع أن يقرأ كلمة واحدة، ولكن قدرة الله هي التي ستأخذ هذا النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب لتجعله معلما للبشرية كلها إلى يوم القيامة؛ لأن كل البشر يعلمهم بشر. ولكن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم سيعلمه الله سبحانه وتعالى ليكون معلما لأكبر علماء البشر يأخذون عنه العلم والمعرفة»[1]

الأدلة من السنة المشرفة:

الأدلة على تعليم الله تعالى لنبيه ﷺ للغيب لا تعد ولا تحصى، فكل ما ورد في السنة النبوية المكرمة من إخباره ﷺ عن بدء الخلق وعن خلق الأكوان وعن الأمم السابقة وأحوالهم وأنبياءهم وكتبهم من الغيب، وكل ما أخبر به ﷺ من علامات قيام الساعة الصغرى والكبرى من الغيب، وكل ما أخبر به ﷺ عن القبر وحسابه وعذابه ونعيمه وسؤاله من الغيب، وكل ما أخبر به ﷺ عن البعث والنشور والشفاعة والصراط والجنة والنار والحساب والعقاب والثواب من الغيب، وكل ما صرح به ﷺ من رؤيته للجنة والنار وأهلها ورؤيته للحوض من الغيب، فهذه عشرات الألاف من الأحاديث النبوية في كتب السنة تكلمت عن ذلك وكله غيب.

وسأكتفي هنا ببعض الأحاديث التي صرح بها النبي ﷺ على علمه بما كان وما يكون بتعليم الله ﷻ له:

١- عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رضي الله عنه، يَقُولُ:(**قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أهل الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وأهل النَّارِ**

(١) تفسير الشعراوي ج١ ص٤٢.

مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ)[١]. وهذا حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهم، وفيه دليل قاطع على تعليم الله ﷻ لنبيه ﷺ ما كان وما سيكون، وكل ما أخبر به من بدأ الخلق حتى دخول أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم من الغيب الذي لا يعرفه إلا الله.

٢- عَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللهَّ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي المَاءَ، فَحَمِدَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: « **مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الجَنَّةُ وَالنَّارُ**». وهذا نص واضح منه ﷺ بأن الله ﷻ أطلعه على كل شيء، بدليل أن (ما من شيء) من صيغ العموم، ولا يوجد ما يخصصها.

٣- عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[٢]. فليت شعري ما يقول الذين ينكرون علم النبي ﷺ بالغيب في هذا الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام مسلم.

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: « أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، قال أحسبه في المنام فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ « قال: « قلت: لا «، قال: «**فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي**» **أو قال: « في نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض**، قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في

(١) البخاري (٣١٩٣)، مسلم (٢٨٩١)، أبو داوود (٤٢٤٠)،

(٢) مسلم (٢٤).

الكفارات، والكفارات المكث في المساجد بعد الصلاة، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد، إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، قال: والدرجات إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام)[١] وفي رواية (**فعلمت ما بين المشرق والمغرب**)[٢] وفي راوية (**فتجلى لي كل شيء وعرفت**)[٣].

ونسأل الذين ينكرون علم النبي ﷺ بماذا تفسرون قوله ﷺ (**فعلمت ما في السماوات وما في الأرض**) وقوله في رواية (**فعلمت ما بين المشرق والمغرب**) وفي راوية (**فتجلى لي كل شيء وعرفت**)؟.

ولقد صدق قول الله تعالى في مثل هؤلاء ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون:٦٩]. فأنكروا الخصائص والكمالات التي خصه الله تعالى بها وبينها في القرآن الكريم، والتي صرح بها ﷺ تحدثا بنعمة الله تعالى عليه، فأنكروها لأنهم حجبوا بالبشرية، وقاسوا النبي ﷺ على البشرية المعروفة عندهم فأنكروا خصائصه.

٥- عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة، ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر

(١) سنن الترمذي (٣٢٣٣)

(٢) سنن الترمذي (٣٢٣٤)

(٣) سنن الترمذي (٣٢٣٥)

والمغرب، كل ذلك لا يتكلم، حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر: ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه؟ صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط، قال: فسأله، فقال:

« نعم عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد، ففظع الناس بذلك، حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام، والعرق يكاد يلجمهم، فقالوا: يا آدم، أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله عز وجل، اشفع لنا إلى ربك، قال: قد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران:٣٣]، قال: فينطلقون إلى نوح عليه السلام، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فأنت اصطفاك الله، واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارا، فيقول: ليس ذاكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيم عليه السلام، فإن الله عز وجل اتخذه خليلا، فينطلقون إلى إبراهيم، فيقول: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى موسى عليه السلام، فإن الله عز وجل كلمه تكليما، فيقول موسى عليه السلام: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى عيسى ابن مريم، فإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى عليه السلام: ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم، فإنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، انطلقوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيشفع لكم إلى ربكم عز وجل.

قال: فينطلق، فيأتي جبريل عليه السلام ربه، فيقول الله عز وجل: ائذن له، وبشره بالجنة، قال: فينطلق به جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة، ويقول الله

عز وجل: ارفع رأسك يا محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، قال: فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه عز وجل، خر ساجدا قدر جمعة أخرى، فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجدا، فيأخذ جبريل عليه السلام بضبعيه (عضديه) فيفتح الله عز وجل عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط، فيقول: أي رب، خلقتني سيد ولد آدم، ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض الأنبياء، قال: فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي ليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئا، قال: فيدخلون الجنة.

قال: ثم يقول الله عز وجل: انظروا في النار: هل تلقون من أحد عمل خيرا قط؟ قال: فيجدون في النار رجلا، فيقول له: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع، فيقول الله عز وجل: أسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي.

ثم يخرجون من النار رجلا فيقول له: هل عملت خيرا قط؟ فيقول: لا، غير أني قد أمرت ولدي: إذا مت فأحرقوني بالنار، ثم اطحنوني، حتى إذا كنت مثل الكحل، فاذهبوا بي إلى البحر، فاذروني في الريح، فوالله لا يقدر عليَّ رب العالمين أبدا، فقال الله عز وجل له: لم فعلت ذلك؟ قال: من مخافتك، قال: فيقول الله عز وجل: انظر إلى ملك أعظم ملك، فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال: فيقول: لم تسخر بي وأنت الملك؟ قال: وذاك الذي ضحكت منه من الضحى) [1].

---

(١) الإمام أحمد (١٥).

وفي قوله ﷺ **(نعم عرض عليَّ ما هو كائن من أمر الدنيا، وأمر الآخرة)** الرد على كل من أنكر وينكر علم النبي ﷺ بالغيب، فقد أطلعه الله ﷻ على ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

٦- عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل قد رفع لي الدنيا، فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة، كأنما أنظر إلى كفي هذه؛ جليان من الله جلاه لنبيه كما جلا للنبيين من قبله**»[1].

واعلم أيها الحبيب أنَّ هناك ألاف الأحاديث التي أخبر بها النبي ﷺ بها عن الغيبيات ونكتفي بما ذكرنا، والمحب لا يحتاج إلى أدلة وبراهين لبيان فضائل حبيبه، فكن من المحبين المتعلقين بالجناب العالي حتى تنال معيته في الدنيا والآخرة.

(١) الطبراني في المعجم الكبير (١٤١١٢).

❁ تتمة للطَور الرابع ❁

نشأته صلى الله عليه وسلم حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى

لا نحتاج إلى التفصيل في هذا المبحث ما دمنا أثبتنا نبوته منذ لحظة ولادته، فهو في حضرة ربه عز وجل، وهو إمام الحضرة وباب الحق، ولم تغب مشاهداته طرفة عين، وهذا المبحث هو الطَور المحمدي القرآني، والذي تجسد بتبليغه للكلام القديم بلسان الحادث العربي المبين، بل وتجسد القرآن بالشخص المحمدي كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن)، وتمثل هذا الطَور أيضاً في كل معجزاته الكبرى، كالأسراء والمعراج، وانصياع الأكوان لإشارته صلى الله عليه وسلم، كشق القمر، ونزول المطر، وتلبية الشجر والحجر والحيوان لندائه، وكثير من المعجزات التي لا حصر لها. وهذا ما بينه العلماء في الشمائل والخصائص والفضائل والسير.

الطَور الخامس

طور البرزخ

إثبات حياته ﷺ البرزخية:

النبي ﷺ حيٌ في برزخه، مطلع على الأكوان وشاهد عليها ومُمد لها، ومطلع على أعمال أمته ومستغفر للعاصين منهم، وليس كما ادعى بعض المسلمين أنه ﷺ مات وانتهى، وأشاعوا هذا بين الناس وجعلوه عقيدةً لهم، وذهبوا إلى تضعيف الأحاديث التي أثبتت حياته ﷺ ومنفعته لأمته بعد انتقاله، فهؤلاء قوم قد ماتت قلوبهم بعد أن مات تعظيم النبي ﷺ وتوقيره في قلوبهم. وسنثبت ما قلناه في أنه حي مطلع ممدٌ للأكوان بالقرآن أولا حتى لا يبقى مجال للمعترضين على حياته ﷺ مع السنة المطهرة. وسنذكر الآيات بحسب تريب السور في المصحف الشريف:

١- قال الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩]

وحكم هذه الآية لم ينحصر في عصره ﷺ بل في كل العصور وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأن القرآن لكل زمان ومكان، فانتبه أيها الحبيب إلى

قوله ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فهل يحارب الميت الحي؟، ففيها دليل على حياته واطلاعه ﷺ على الأعمال وأنه ﷺ ينفع ويضر بروحانيته المطلعة على الأكوان، فهو ينفع أحبابه وأتباعه ويمدهم بكل الخير، ويضر ويحارب من جحد كلام الله واستمر في تعامله بالربا.

٢- قال الله ﷻ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠] فلا تظننَّ أيها الأنسان أن الشهداء أموات لا حياة لهم، بل لهم حياة أفضل وأعلى وأكمل وأوسع من حياتكم هذه، فيرزقون ويفرحون وينظرون إلى أعمالكم ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، فلا تعتقد بأنهم أموات، بل ولا تقل ذلك بلسانك أيضا قال الله ﷻ ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة:١٥٤]. فأثبت الله حياة الشهداء، فما بالك بسيد الخلق ﷺ أفلا يكون حياً مطلعًا على أمته مستبشرا بهم؟ وهو ﷺ الشاهد الشهيد المشهود، بل ما نال الشهداء ما نالوا إلا لمحبتهم إياه وفدائه بأنفسهم وطاعتهم له حين دعاهم للجهاد، وما وضعت الدرجات إلا على قدر القرب منه والتعلق به.

٣- قال الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩]، في هذه الآية دليل على حياته ﷺ، فيكون المعنى ردوه إلى الله ورسوله إن كان بين أظهركم، ولا تحكموا برأيكم بل

الحكم حكمه؛ لأنه النائب عن ربه والمطلع على حكمة الله في عباده وعلى مراده منهم، وبعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى فالناس في رد الحكم إليه على قسمين:

الأول: العلماء وعامة المسلمين يردون الحكم إلى كتاب الله وسنته ﷺ وسيرته وأحكامه.

الثاني: العارفون بالله والعلماء الربانيون وبعض من الأئمة المجتهدين فهؤلاء منَّ الله عليهم برؤية النبي ﷺ يقظة واجتماعهم به، وهذا ما أثبته جمع كبير من الأولياء والصالحين والعلماء الربانيين كالإمام السيوطي والشعراني وابن عربي وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، وأثبت ذلك الإمام السيوطي في الحاوي للفتاوي في رسالته المسماة (تنوير الحلك في إمكانية رؤية النبي والملك) والتي أثبت فيها جواز رؤية النبي ﷺ يقظة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وذكر أقوال العلماء الذين جوزوا هذا الأمر، بل وذكر من رأى روحانية النبي وجسده يقظة من العلماء، والإمام السيوطي ممن صرح بأنه رأى النبي ﷺ بضعاً وسبعين مرة. قال الإمام عبد الوهاب الشعراني كان أبو العباس المرسي يقول (لو غاب عني رسول الله ﷺ لحظة ما عددت نفسي من المسلمين)[(١)].

فهؤلاء يردون الأمر إليه ﷺ ويأخذون الأحكام منه وهذا ما أمرنا الله ﷻ به فقال ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣] فأهل الحجاب أمثالنا يردون الأمر إلى أولي الأمر من العلماء الربانيين، والعارفون بالله يردون الأمر إلى رسول الله ﷺ فيأخذون الحكم منه، ولذلك نجد أن علم

(١) الطبقات الكبرى: ص٣٩٧.

سادتنا الأئمة المجتهدين كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم خالدٌ إلى يوم القيامة؛ لأنهم تحققوا بمقام الأخذ عن رسول الله ﷺ مشافهة من خلال القرآن والسنة المروية، ومن خلال تحققهم برؤية النبي ﷺ مناما ويقظة؛ فهُم أهل الكشف والولاية، ولا ولاية ولا كشف صحيح إلا من النبي ﷺ.

وقد أكد الله سبحانه حياته الأبدية بعد هذه الآية بآيات فقال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء:٦١]وإذا قيل للمنافقين في كل الأزمنة تعالوا إلى ما أنزل الله وهو القرآن الكريم، وإلى الرسول الحي الباقي المطلع على أعمالكم، رأيت المنافقين في كل زمان يصدون (عنك)، وهذه علامة المنافق الصد عن سيدنا محمد ﷺ في حياته وانتقاله، والقول بأنه بشر مات وانتهى، ولم تعد له منفعة ولا مضرة، ولا يسمع دعاء أمته ولا يدعو لهم ولا يمدهم بأسباب السعادة في الدارين.

٤- قال الله ﷻ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء:٦٤] كفى بهذه الآية العظيمة دليلا على حياته الأبدية ونفعه لمن ذهب إليه ﷺ. فلم يتوقف العمل بهذه الآية بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى بل العمل بها في كل زمان ومكان، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك إن كنت موجودا، وجاءوا إلى روضتك وقبرك في حين انتقالك عنهم، وقال (جاءوك) بكاف الخطاب للحاضر؛ لأنه ﷺ حاضر ناظر مطلع بروحانيته ويستغفر لمن طلب منه الاستغفار.

فلو جاءوني من كل باب لا أفتح لهم إلا من بابك، لأنك باب الحضرة وإمامها، ثم في قوله ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ فعدل من قوله (جاءوك) إلى وصفه بالرسالة لبيان عظيم منزلته ﷺ، ولو قال (واستغفرت لهم) لصح

قول من قال هذا في حال حياته فقط، لكنه قال ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ والرسالة صفة باقية دائمة حتى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ويلزم من قيام الصفة وجود الموصوف، وفي هذا دليل على أنه حي يستغفر لمن يطلب منه الدعاء والاستغفار.

وهذا الذي ذكرناه هو ما فهمه الصحابة والتابعين من هذه الآية وكما هو واضح في قصة العتبي:

قال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير: «ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه: «الشامل» الحكاية المشهورة عن العتبى قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء:٦٤]وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: إلحق الأعرابي فبشره أنَّ الله قد غفر له»[1].

---

(١) قال الشيخ محمد بن علوي المالكي: فهذه القصة رواها الإمام النووي في كتابه المعروف بالإيضاح في الباب السادس ص٤٩٨، ورواها أيضاً الحافظ عماد الدين ابن كثير في تفسيره الشهير عند قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ اذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ}. . الاية. ورواها أيضاً الشيخ أبو محمد ابن قدامة في كتابه المغني (ج٣ ص٥٥٦)، ونقلها أيضاً الشيخ أبو الفرج ابن قدامة في كتابه الشرح الكبير (ج٣ ص٤٩٥)، ونقلها أيضاً الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه المعروف بكشاف القناع من أشهر كتب المذهب الحنبلي (ج٥ ص٣٠)(١٦)[١٢].

قلت: وهذه الأبيات مكتوبة بفضل الله على المواجهة النبوية الشريفة في العامود الذي بين شباك الحجرة النبوية يراها القاصي والداني منذ مئات السنين.

وذكر الإمام القرطبي قصة تشبهها المعروف بالجامع قال «روى أبو صادق عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنَّا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ**﴾ الآية، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر: أنه قد غفر لك.»[1]

قال مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي: هذه الآية الكريمة تبين مسلكاً لمن ظلم نفسه بمعصيةٍ بأن يأتي إلى رسول الله ﷺ سواء كان ذلك في حياته أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فقول الله تعالى (جاءوك) فعل، والفعل يدل على الحدث والزمن، بمعنى ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم حصل منهم مجيء وهو حدث، وهو نكرة وردت في سياق الشرط فهي تفيد العموم، والحدث لا يعم، إنما يعم زمنُهُ، فالعموم واقع على الزمان الذي دل عليه الفعل، بمعنى إن حصل لهم مجيء في أي وقت من الأوقات فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً. وهذا يعني أن هذا النص القرآني الكريم يدل على أنه لا فرق في المجيء إلى الباب المحمدي الشريف في حالة الحياة أو بعد الممات.

٥ – في قوله تعالى ﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾ [النساء:١٠٠] (من) إذا جاءت بصيغة الشرط تفيد العموم، فهذه الآية عامة لكل زمان ومكان، فمن يخرج مهاجرا عما نهى الله تعالى، سالكاً إلى الله تعالى ورسوله في كل زمان

(١) تفسير القرطبي: ج٥ ص٢٦٥.

ومكان، فقد وقع اجره على الله تعالى، ولذلك نستدل بهذه الآية على حياته ﷺ وعلمه بمن هاجر إليه، قاصداً إياه، طائعاً له، ملبياً لندائه ﷺ.

وفي الآية دليل على وحدة الجهة والمقصد، فمن هاجر إلى رسول الله ﷺ فهو مهاجر إلى الله تعالى على الحقيقة، إذ أثبتت الآية أن النبي ﷺ هو مظهر تجلي الله في الأكوان، وهو القبلة الحقيقة لمن أراد الهجرة عما سوى الله تعالى وقصد الحضرة الإلهية.

وفي الآية دليل على عظمة مكانة النبي ﷺ عند مولاه إذ نسبه لنفسه وحضرته، واستعمل (واو) العطف التي تفيد التشريك مع التغاير بين الخالق والمخلوق، فدلت على اشتراك الحضرة.

٦- قال الله ﷻ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران:١٦٤]، ومنَّة الله ﷻ باقية لا تنقطع، ورسول الله ﷺ باق بيننا ببقاء منّة الله ﷻ وببقاء آياته، والمنَّة أكبر من النعمة، فالنعمة قد تزول لكنَّ المنة باقية لا تزول.

والمنة: هي التي تكون دائمة غير منقطعة، والنعمة: قد تكون دائمة وقد تكون منقطعة، لذلك قال تعالى ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾[فصلت:٨] أي غير مقطوع.

والمنة: هي النعمة الكبيرة التي تغير حالة العبد تغييراً كاملا. وهذا ما حصل بإرسال المنة الكبرى ﷺ.

ولذلك نستدل بهذه الآية على حياته الأبدية ﷺ؛ لأن منة الله باقية أبدية وحاشا أن تنقطع وتفنى، ومن يقل أن النبي ﷺ مات وانتهى فقد حكم على منة الله التي أثبتها في كتابه بالانقطاع والعياذ بالله من هذا الاعتقاد.

وفي الآية إشارة أخرى إلى حياته ﷺ الأبدية، حيث قال يتلوا عليهم آياته، وقد يقول القائل هذا في حياته حين كان ينزل القرآن، فنقول إذن انتبه إلى قوله تعالى (ويزكيهم) فأثبت الله تعالى له تزكية النفوس وتربيتها في كل وقت وحين، فله ﷺ التزكية في كل الأزمان، فلا تزكية ولا ترق إلا منه وبه ﷺ، قال ﷺ **(حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ)**[1] ففي استغفاره ﷺ لنا تطهير وتزكية، وقال ﷺ **(إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليكَ أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً)**[2].

فإذا صلى الله عليك صلاة واحدة أخرجك من الظلمات إلى النور قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب:٤٣] فما بالك إذا صلى الله عليك عشرا وهذا كله بصلاة واحدة على الحبيب الأعظم ﷺ فما بالك لو صليت مائة والفا.

وفي الآية إشارات أخرى إلى حياته ﷺ في قوله ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢] فهل يعلم الميت الحي، أم ستقول أيها المعترض لا نعمل بهذه الآية فقد نسخت بوفاته ﷺ؟!! فكل علم بل وكل خير يعطيه الله ﷻ إنما

(١) مسند البزار المنشور (١٩٢٥).

(٢) الامام مسلم (٤٠٨)، وأبو داوود (١٥٣٠)، والترمذي (٤٨٥)، واحمد (٣٧٢،٣٧٥)

هو عن طريقه ﷺ، وانظر إلى قوله ﷺ **(من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين، إنما أنا قاسم والله يعطي)**[١].

فالخير والفقه والعلم والحكمة منه ﷺ وفي جميع الأزمان بدلالة قوله (قاسم) بصيغة اسم الفاعل حيث لم يجعلها مرتبطة بزمان، أي قاسم في الماضي والحاضر والاستقبال. وقال ﷺ **(أنا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِهِ مِنْ بَابِهِ)**[٢] فهو ﷺ مصدر العلم ومظهره في الأكوان وهو المعلم للأكوان من البَدء إلى الأبد.

قال مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع الرفاعي: حديث « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي**» يدل على أن النبي ﷺ موكلٌ بقسمة النعم الإلهية، سواء كانت حسية أو معنوية. لذلك قال ﷺ» **وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي** « بعد أن قال « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» إشارة إلى قسمة العطاء المعنوي وهي العلم، فالحسي من باب أولى. وبما أن عطاء الله تعالى لا ينفد وهو مستمر متجدد والقسمة مرتبطة بهذا العطاء فهي لا تنقطع، وليست متوقفة على حياة أو ممات.

٧- قال الله ﷻ ﴿**وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ**﴾ [المائدة:١٣] أي ولا تزال تطلع على خيانة اليهود ونكثهم للعهود والمواثيق، وبما أن اليهود ناكثون خائنون من زمانه إلى أن ينزل سيدنا عيسى عليه السلام ليقتلهم بعد أن يقتل الدجال،

---

(١) البخاري (٧١) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ».

(٢) الحاكم في المستدرك (٤٦٣٧)، الطبراني في المعجم الكبير(١١٠٦١).

إذن لا يزال النبي ﷺ مطلعا على خيانتهم ونكثهم للعهود، وأتى بالفعل المضارع بقوله (ولا تزال) للدلالة على استمرار الفعل، فدل على استمرار الخيانة منهم واستمرار الاطلاع منه ﷺ وفيه دليل على حياته ﷺ.

٨- قال الله ﷻ ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦]، وعلى قول المحققين من أهل التفسير أن المراد بالنور في هذه الآية هو سيدنا محمد ﷺ.

قال الإمام الرازي «وَسُمِّيَ الرَّسُولُ نُورًا ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾»[(١)].

وقال العلامة الألوسي «قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ عظيم وهو نور الأنوار والنبي المختار صلّى الله عليه وسلّم»[(٢)].

قلت: فهو ﷺ النور الذي جعله الله تعالى هاديا للأكوان من البَدء إلى الأبد بدليل قوله ﷺ «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ»[(٣)] فقوله (فألقى عليه من نوره) وهو النور المحمدي، فمن سقطت عليه قطرات النور المحمدي في عالم البدء آمن ولبى بـ(بلى) يوم (ألست بربكم) ومن منع من قطرات النور المحمدي حجب ومُنع من التلبية، لذلك

(١) التفسير الكبير: ج٢ صص٢٦٣.

(٢) تفسير الألوسي: ج٣ص٢٦٩.

(٣) الترمذي (٢٦٤٢).

قال له﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦]

وفيه إشارة إلى حياته ﷺ لأن من حكم على النبي ﷺ بالموت والانتهاء وسلب عنه النفع والضر فقد حكم على هذا النور بالانطفاء، وحاشا أن ينطفئ نور جعله الله هاديا للأكوان ورحمة للعالمين.

٩- قال الله ﷻ ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥] وهذه الآية دليل واضح على حياته ﷺ المستمرة حتى بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فأثبت الله ﷻ حياته واطلاعه على الأعمال وهو في برزخه ﷺ. ومن يقل بأن النبي ﷺ مات وانتهى فهو يعارض هذا النص الواضح الصريح.

ولقد ذكر الله ﷻ الفعل (يرى) بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار. وهذا ما أكده النبي ﷺ وهو المبين والموضح للقرآن الكريم بقوله **(حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَّ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَّ لَكُمْ)**[1] بل وصف الله تعالى المؤمنين باطلاعهم على الأعمال وهم في برازخهم، وهذا أيضا أكده النبي ﷺ في قوله **(إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا)**[2].

(١) مسند البزار ج٣ ص٣٠٨.

(٢) رواه أحمد (١٢٨٨٠).

قال الرازي «أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ شُهَدَاءُ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ: وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً [الْبَقَرَةِ: ١٤٣] الْآيَةَ، وَالرَّسُولُ شَهِيدُ الْأُمَّةِ، كَمَا قَالَ: فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً [النِّسَاءِ: ٤١] فَثَبَتَ أَنَّ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ شُهَدَاءُ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالشَّهَادَةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا بَعْدَ الرُّؤْيَةِ، فَذَكَرَ اللهُ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ أَعْمَالَهُمْ، وَالْمَقْصُودُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ حُضُورِ الْأَوَّلِينَ والآخرين، بِأَنَّهُمْ أهل الصِّدْقِ وَالسَّدَادِ وَالْعَفَافِ وَالرَّشَادِ.»[1]

١٠- قال الله ﷻ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]، في هذه الآية دليل على حياته ﷺ، ففي قوله تعالى (حريصٌ عليكم) إشارة إلى حياته ﷺ.

فالحرص هو شدة الطلب للشيء مع اجتهاد، فلو أمر الملك عبدا بالإمساك بقدح من الزجاج المملوء بالماء، وقال له الملك احرص عليه من السقوط والانكسار وضياع الماء الذي فيه، فهل يغفل العبد لحظة أو طرفة عين عما يحمل؟ وهل ينام أو ينشغل؟ ولله المثل الأعلى. وقد وصف الله تعالى نبيه ﷺ بأنه (حريصٌ عليكم) أي لا يغفل عنا لا في حياته ولا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وهذا دليل على حياته واطلاعه على أعمالنا والاستغفار للمذنب منا وهو في برزخه ﷺ. فهو الحي المنتبه إلينا المطلع على أعمالنا.

١١- قال الله ﷻ ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت:٦٤]، يخبرنا الله ﷻ في هذه

(١) التفسير الكبير ج١٦ ص١٤٣.

الآية الكريمة إن الحياة الحقيقة والأبدية هي الدار الأخرة فقال ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾

قال العلامة الألوسي «أي لهي دار الحياة الحقيقية إذ لا يعرض الموت والفناء لمن فيها أو هي ذاتها حياة للمبالغة، والْحَيَوانُ مصدر حي سمي به ذو الحياة في غير هذا المحل»(١).

قلت: ومعلوم أن أول منازل الدار الأخرة هو القبر، والنبي ﷺ يقول **(إِنَّ الْقَبْرَ أول مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ)**(٢).

ولقد قال الإمام علي رضي الله عنه وعليه السلام (الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا) وهذه هي الحقيقة التي غفل عنها كثير من الناس وبيّنها الإمام علي رضي الله عنه باب مدينة العلم. وبهذا نستدل على أن الموت الحسي الذي نعرفه يصيب الأجساد فقط، والروح باقية حية دراكة تتنعم إن كانت مؤمنة صالحة وتتعذب إن كانت مذنبة كافرة، وقد أثبتنا فيما مضى أن الميت يعلم بحال أهله ويرى أعمالهم، هذا كله للإنسان العادي فما بالك بسيد الأولين والآخرين.

إذن: نستدل بهذه الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف على حياته ﷺ البرزخية وما يتمتع به من خصائص خصه الله تعالى بها في تلك الحياة والتي ذكرناها أنفا.

١٢- قال الله عز وجل ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب:٣٢] لو وقفنا مع هذه الآية الكريمة وتمعنا فيها لاستخرجنا منها إشارة على حياته ﷺ.

(١) روح المعاني ج١١ ص١٤.

(٢) الترمذي (٢٤٧٨)، وابن ماجة (٤٤٠٨)، واحمد (٤٦١).

فنساء النبي رضي الله عنهن جميعا لسن كأحدٍ من النساء؛ لأنهنَّ زوجات من ليس كمثله مخلوق، وصار لهنَّ بعض الخصائص والكمالات، فمنها أنهنَّ أمهات المؤمنين، وهنَّ زوجاته ﷺ في الدنيا وفي الجنة، ويحرم عليهنَّ الزواج بعد وفاة النبي ﷺ وهنا الإشارة إلى حياته ﷺ فالمرأة إذا توفي عنها زوجها لزمت العدة المقررة للمتوفى عنها زوجها، ومن ثم يحل لها أن تتزوج زوجا آخر، ولكنَّ نساء النبي ﷺ لا يحل لأحد أن يتزوجهن من بعده ﷺ، وفيه إشارة إلى حياته المستمرة، فجرت عليهنَّ أحكام من كان زوجها حياً ولا يحل للمرآة أن تتزوج في حياة زوجها.

١٣- قال الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب:٥٦]، وهذه الآية من الآيات التي لا تفنى أسرارها ولا تنتهي أنوارها وخصائصها. ولقد تكلم العارفون عن معانيها وذكر خصائصها وفضائلها ولم ينتهوا إلى مبلغ أسرارها ولا إلى نهاية خصائصها، وما لسيدنا النبي ﷺ من الخصائص والفواضل والفضائل في هذه الآية العظيمة.

ونحن هنا بصدد الاستدلال بها على حياته البرزخية من البدء، إذ هو المخلوق الأول إلى الأبد.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ قال المفسرون إن الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء، ونحن لا ننكر هذا التفسير ولكن نستدرك عليه بما يوافق المقام المحمدي، فصلاة الله تعالى لا يدرك كنهها إلا هو سبحانه وتعالى، وإن قلنا أن الصلاة من الله الرحمة

فعلى معنى إمداد الله تعالى لنبيه ﷺ بالرحمة من البدء إلى الأبد؛ لأنه هو الذي وصفه في كتابه العزيز بأنه الرحمة للعالمين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فهو ﷺ ممد العالمين بالرحمة بحسب مراد الله تعالى، فصارت الصلاة من الله تعالى إمدادا بالرحمة، وصلاة الملائكة استمداد من هذه الرحمة، فالملائكة تصلي على النبي ﷺ لتستمد منه أسباب وجودها وترقيها وقوتها.

ووصفه في هذه الآية بالنبوة فقال (على النبي) وفيه إشارة إلى أن الله تعالى بدأ يصلي على حبيبه ﷺ من عالم البدء وهو ﷺ نبي من أول عالم النشأة فهو القائل (**كنت نبياً وآدم منجدل في طينته**)[١] وفي رواية (**كُنْتُ نَبِياً وآدم بيَن الرُوحِ والجَسَد**)[٢]. ولو قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون عليك لقلنا من ساعة ولادته ووجوده على هذه الأرض، ولو قال يصلون على الرسول لقلنا من حين بعثه رسولا وهو في عمر الأربعين، ولكن قال (على النبي) كي نتنبه إلى هذه الحقيقة العظيمة والتي تبين شيئاً من خصائصه وما حباه الله تعالى به.

ومن ذلك كله نستدل على أنه ﷺ نبي حي من البَدء، وهو أول مخلوق وأول نبي في عالم كن، وصلاة الله تعالى عليه وإمداده بالرحمة ليمد العوالم، ثم

(١) اخرجه الإمام الترمذي (٣٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وادم بين الروح والجسد)، واخرجه الإمام احمد (٢٠٥٩٦)، والطبراني في الكبير، وابن أبي شيبة (٣٦٥٥٣).

(٢) الإمام احمد (٢٠٥٩٦) عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الخير قال قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٨٣٤) وابن أبي شيبة (٣٦٥٥٣) وايضاً عبد الله بن شقيق بلفظ (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد) والترمذي (٣٦٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد).

هو ﷺ حي إلى الأبد؛ لأن صلاة الله تعالى وإمداده لحبيبه لم تنقطع عنه طرفة عين؛ لأنه ﷺ القاسم للرحمة بين الأكوان، وصلاة الله تعالى وملائكته مستمرة لا تنقطع لذلك أتى بالفعل المضارع الذي يدل على التجدد والاستمرار فقال (يصلون).

ولنا في معنى صلاة الله تعالى عليه ﷺ معنى آخر: وهو تجلي الذات على سيدنا محمد ﷺ بجميع الأسماء والصفات وليس بالرحمة فقط، فإذا تجلى عليه بالألوهية صار النبي ﷺ هادياً للأكوان، وإذا تجلى عليه بالربوبية صار النبي ﷺ مربيا للأكوان وعائلاً لها، وإذا تجلى عليه باسمه الجبار صار النبي ﷺ جابراً للقلوب المنكسرة، وهكذا في جميع الأسماء والصفات، فكيف نحكم على حضرة الأسماء والصفات بالموت وعدم النفع. ومن أراد التعرف على تفصيل ذلك في معاني تجلي الله تعالى على حبيبه بجميع أسمائه وصفاته على حبيبه ﷺ فعليه بقراءة صلاة أسماء الله الحسنى في شرح الصلوات اليسرية على خير البرية للعارف بالله الشيخ يسري جبر الحسني.

ونستدل على حياته ﷺ بأنه يرد على من سلم عليه السلام، فهو القائل «**ما مِنْ أَحَدٍ يُسلِّمُ علي إلا ردَّ اللهُ عليَّ رُوحي حتى أردَّ عليه السَّلامَ**»[1]. وكما هو معلوم ما من لحظة تمر إلا وهناك من يصلي ويسلم على حضرته ﷺ وهو حي يرد السلام على من سلم عليه، وما من لحظة تمر إلا ويرفع فيها الأذان في بقعة من بقاع الأرض ويُصلى عليه بعد الآذان.

١٤- قال الله ﷻ ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦**﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، في هذه الآية

(١) أبو داوود (٢٠٤١)

العظيمة أكثر من دليل على حياته ﷺ وشهوده واطلاعه على الأكوان من بداية النشأة إلى الأبد من خلال روحانيته ﷺ.

فقد خاطبه ربنا ﷻ بالنبوة لينبهنا إلى أن الصفات التي سيذكرها بعد ذلك هي صفات لازمته ﷺ مذ كان نبيا وآدم بين الروح والجسد، ثم وصفه بالشاهد، والشاهد في معاجم اللغة من المشاهدة والعيان والسماع والحضور، وما وصفه ربنا بالشاهد إلا لأنه مشاهد، فكان شاهدا على خلق الأكوان قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الكهف:٥٠-٥١] فالله ﷻ ذمَّ الشيطان ومن تبعه وأخبر بأنه لم يُشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، ونستدل بمفهوم المخالفة على أنَّ الله ﷻ قد أشهد بعض خلقه على خلق السموات والأرض وخلق الأنسان، مثلما أشهد الملائكة على خلق آدم عليه السلام، وكما قررنا أن سيدنا محمدا ﷺ المخلوق الأول فقد أشهده الله تعالى على خلق السموات والأرض وخلق الأكوان، ولذلك قال عنه (شاهد) بصيغة اسم الفاعل ولم يحدده بزمن معين بل شاهداً على كل الأزمان.

وشاهداً على إجابة الأرواح يوم ألست بربكم كما بينا أنفا، وشاهداً على الأنبياء والأمم لقوله تعالى ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة:١٤٣]، وفي قوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[النساء:٤١].

وشاهدا على أعمال الخلق في حال حياته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥]، وشاهداً لمن يُكثر من الصلاة عليه إذ تُعرض الصلاة عليه وهو في برزخه.

والشاهد لا يكون إلا حياً وإلا كيف تقبل شاهدة الميت؟ وكيف يصفه الله تعالى بأنه الشاهد إلا إذا كان حياً مشاهداً سامعاً واعياً لما سيشهد عليه، وهذا هو الدليل الأول على حياته ﷺ من هذه الآية.

أما الدليل الثاني من هذه الآية على حياته ﷺ فهو في وصفه تعالى له ﷺ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [الأحزاب:٤٦]

فهو الداعي إلى الله تعالى من بدء الأكوان إذ هو المخلوق الأول الذي أجاب ببلى يوم ألست بربكم واقتدت به جميع الأرواح لذلك قال﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام:١٦٣]، وقوله تعالى في آية أخرى ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٢﴾ [الزمر:١٢]، وما زال ﷺ داعيا إلى ربه بكتاب الله الذي أنزل عليه، وبسنته التي بينت ما في كتاب الله تعالى، وبوراثه الذين يستمدون منه من العلماء الربانيين والعارفين بالله تعالى في كل زمان.

وبعد ما ذكرنا من الأدلة فمن يقل بموته وانتهاء عمله فقد خالف القرآن، وأنكر فضل الله تعالى على نبيه ﷺ وانتقصه ما خصه الله تعالى به من خصائص وفضائل وفواضل.

وهناك دليل ثالث في هذه الآية على حياته ﷺ وهو في قوله تعالى ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٦]

فهو ﷺ السراج المنير الذي أنار الله به الأكوان والقلوب، ومن يقل بموته ﷺ فقد حكم على هذا السراج المنير بالانطفاء، وحاشا لله أن يطفئ هذا السراج المنير إذ لو انطفأ لعادت الأكوان إلى العماء والعدم كما كانت.

١٥- قال الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [الحجرات:١-٥]

في هذه الآيات أكثر من إشارة ودليل على حياته ﷺ، فقد نهى الله ﷻ المؤمنين أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت رسول الله ﷺ فامتثلوا الأمر، والصحابة الكرام هم الذين أُنزل عليهم القرآن وهم أفضل وأكمل من فهم الخطاب القرآني؛ لأنهم أفصح الخلق بعد الأنبياء، لذلك لم يفهموا أن هذا الأمر متعلق في حياته ﷺ بل تأدبوا بهذه الآداب حتى بعد انتقاله ﷺ للرفيق الأعلى، وهذا أعظم دليل على أنهم يعتبرون النبي ﷺ حياً مطلعاً على أعمالهم فالتزموا بنفس الآداب.

لذلك ثبت عن سيدنا عمر ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ (**كُنْتُ قَائِمًا فِى الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِى رَجُلٌ فَنَظَرْتُ فإذا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ اذْهَبْ فَأْتِنِى بِهَذَيْنِ فَجِئْتُهُ بِهِمَا قَالَ مَنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا قَالاَ مِنْ أهل الطَّائِفِ قَالَ لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أهل الْبَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِى**

مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم)[١] وسيدنا عمر رضي الله عنه لا يقيم الحد على أحد ويضربه مالم يرتكب مخالفة شرعية، وهذا دليل على أن هذا الحكم لم ينقطع بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو دليل على حياته.

وهذا ما فهمه أئمة المسلمين وأقطاب العلم كالإمام مالك بن أنس رضي الله عنه فقد ذكر القاضي عياض في كتابه الشفا قال (ناظر أَبُو جَعْفَرٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكًا فِي مَسْجِدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لَهُ مَالِكٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَدَّبَ قَوْمًا فَقَالَ ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢]، وَمَدَحَ قَوْمًا فَقَالَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٣]، وَذَمَّ قَوْمًا فَقَالَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات:٤] وَإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيتًا كَحُرْمَتِهِ حَيًّا فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ وَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَأَدْعُو أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عليه السَّلَامُ إلى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ بَلِ اسْتَقْبِلْهُ واسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفِّعهُ اللهُ قَالَ اللهُ تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء:٦٤][٢].

وفي قول الإمام مالك دليل آخر على حياته فإنه استدل بالآية الكريمة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء:٦٤] أي أنه حي ويسمع ويستغفر لمن جاءه حيا ومنتقلا، وكفى بما ورد في سيرة الإمام مالك من الآداب التي كان يفعلها في مدينة رسول الله ﷺ من السير حافيا، وسكناه خارج المدينة، ولما سُئل عن الأولى قال كيف ألبس نعالا في مدينة رسول الله ﷺ وأخاف أن تطأ

(١) البخاري (٤٧٠).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج٢ ص٤١.

قدمي أرضا وطئتها أقدام رسول الله ﷺ، وعن الثانية قال كيف أسكن في مدينة رسول الله وأتوضأ وأقضي حاجتي فيها، فكانوا يرون رسول الله ﷺ حيا بل ومعهم وناظرٌ إليهم فتأدبوا بهذه الآداب فوصلوا إلى ما وصلوا إليه.

١٦- قال الله ﷻ ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٧] بعد أن نهاهم الله تعالى عن رفع أصواتهم عند رسول الله ﷺ وهددهم بإحباط العمل لمن يخالف الأمر، نبههم إلى أمر مهم فقال ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ ومن هذه الآية الكريمة فهم الصحابة الكرام أن النبي ﷺ لم ينقطع عنهم بانتقاله إلى جوار ربه فبقوا متمسكين بالآداب.

وهناك إشارة مهمة في هذه الآية وهو قوله (فيكم) و(في) حرف جر تفيد الظرفية، فإذا قلت الماء في الإناء، أي في ظرف الإناء، أو الذهب في الخزانة أي في ظرف الخزانة، ومعلوم أن المظروف أغلى وأعز من الظرف، لذلك فهو ﷺ فينا.

وفيها إشارة إلى حقيقته ﷺ إذ هو الروح الأول والأكمل الذي خلقت المخلوقات منه، فهو علة الإيجاد وسبب الإمداد لكل موجود بدليل قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]، فهو الرحمة السارية في جميع الأكوان الممدة لها. فهو ﷺ مظهر اسمه ﷻ الحي القيوم في الأكوان، فبه ﷺ حيت وبه قامت ولولاه ما استقامت.

وبما أنه ﷺ فينا فإننا نخاطبه خطاب الحاضر القريب في أقدس عبادة وأعظمها وهي عبادة الصلاة فنقول في التشهد (**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**) وهذا ما علمه النبي ﷺ للصحابة الكرام، فنسلم عليه بكاف الخطاب التي تستعمل للحاضر، وننديه ب(الهمزة) فنقول (أيها) ولا نناديه

يحرف النداء (يا) الذي يستعمل للبعيد، فهو ﷺ حاضر قريب، يسمع السلام ويرد السلام على كل المسلمين عليه في آن واحد، باختلاف ألسنتهم ولهجاتهم، لذلك نقول السلام عليك أيها النبي ولا نقول أيها الرسول؛ لأن النبوة ثبتت له من عالم البَدء، فهو حي من عالم البدء إلى عالم الأبد لأن النبوة باقية لا تفنى.

١٧ - قال الله ﷻ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

تحدثت هذه الآية الكريمة عن معجزة الإسراء بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ولنقرأ معا ما قاله النبي ﷺ عن تلك الرحلة الربانية العظيمة، ومن قول الحبيب الأعظم نستخرج الأدلة على حياته وحياة الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال «**وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فإذا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي فإذا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ وَإِذَا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ يَعْنِي نَفْسَهُ فَحَانَتِ الصَّلاَةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاَةِ قَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُّ إليه فَبَدَأَنِي بِالسَّلاَمِ**»[1] فانتبه إلى قوله ﷺ في حق سيدنا موسى عليه السلام (**فإذا موسى قائم يصلي**) وإلى قوله ﷺ في حق سيدنا عيسى عليه السلام (**وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَائِمٌ يُصَلِّي**) وقوله ﷺ في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام (**وَإِذَا إبراهيم عَلَيْهِ**

(١) مسلم (٤٤٨).

السَّلاَمُ قَائِمٌ يُصَلِّي) وفي هذا القول دليل على حياتهم بل واستمرارهم بالعبادة إذ لم ينقطعوا عن العبادة كما ينقطع الناس إذا ماتوا، وهذ دليل على حياتهم، فما بالك بسيدهم وإمامهم وممدهم فهل نقول عليه مات وانتهى؟ حاشاه والله مولاه.

ولنكمل قراءة ما ذكر في كتب السنة عن هذه الحادثة فقد روى الإمام أحمد في مسنده وقال «**فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَسْجِدَ الأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي ثُمَّ الْتَفَتَ فإذا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ**»[1] وعدد الأنبياء مائة وأربع وعشرون ألف نبي وكلهم حضروا وصلوا خلفه، فكيف يلتقي النبي ﷺ وهو بجسده مع الأرواح ويصلي بهم إن قلنا أنهم ماتوا وانتهوا. فهذا من أظهر الأدلة على حياته ﷺ وحياة الأنبياء والمرسلين في برازخهم.

١٨- عنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ أَوِ المُنَافِقُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٣٦١).

(٢) البخاري (١٣٣٨).

و(هذا) اسم إشارة يستعمل للحاضر القريب، وفيه دليل أن صورة النبي ﷺ ستتجسد من خلال روحانيته أمام الميت عند سؤال الملكين، فالمؤمن المحب للجناب النبوي سيقول هذا حبيبي محمد ﷺ، والكافر والمنافق يقول لا أدري فيعذب.

ومعلوم أن مئات المسلمين يموتون في اليوم الواحد إن لم نقل الألاف، وكلهم يسألون عن النبي ﷺ الظاهر بروحانيته أمامهم، وكلها حق لأن الشيطان لا يتجسد بالنبي ﷺ، وهذا دليل على حياته ﷺ وإحاطة روحانيته بالأكوان.

الطَور السادس

طَور البعث والنشور والشفاعة ودخول الجنة

في هذا الطَور ستشرق شمس الحقيقة المحمدية للعيان بعد أن كانت محجوبة إلا على خواص عباد الله تعالى، وسيرى عظمتها المؤمن والكافر والمعتقد والمنتقد والسابقون واللاحقون، وسيلجأ الجميع للاستغاثة به ﷺ وطلب الشفاعة منه، وستتجلى الرحمة المحمدية بجميع صورها وأنواعها في ذلك الموقف، وسنوضح في هذا الطور بعض المباحث التي تبين ما خص الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ من الكمالات التي ستظهر عليه في هذا الطَور.

❁ المبحث الأول ❁

البعث والنشور

١- قال الله ﷻ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤]، والإشارة في قوله تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء:١٠٤] والنبي ﷺ يقول (**أنا أول النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّى وَلاَ فَخْرَ**)[1] فكما كان ﷺ أولا في الخلق كان أولا في البعث، وهذا من مكانته عند الله تعالى وكرامته عليه، إذ جعل له الأولية في كل خير، لذلك ختم الحديث الشريف بقوله (**وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّى وَلاَ فَخْرَ**).

ولو لم تكن لأولية البعث فضيلة وكرامة لما افتخر بها النبي ﷺ، فذكرها وصرح بها لبيان فضيلته عند مولاه، فقد روى الإمام الترمذي عَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (**أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ وَمَا مِنْ نَبِىٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي وَأَنَا أول مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ**)[2] فذكر فضيلة الأولية في البعث مع الفضائل التي خصه الله تعالى بها ليبين عظمة هذا الأمر، ثم قال بعد كل ذلك ولا فخر، أي لا أفخر بذلك عليكم لأن ما أعطاني الله تعالى أكثر مما تتصوره العقول، ولكني أُمرت أن أقول هذه الخصائص حتى تنتبهوا لما خصني الله

(١) الترمذي (٣٩٩٦)، والدارمي (٥٠)، وأحمد (٣٩٨).

(٢) الترمذي (٣٤٤١).

تعالى به وتتعلقوا بي وتعظموني وتوقروني ولا تقيسوني بمخلوق، ولها معنى أخر وهو لا فخر فوق ذلك.

٢- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضى الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ أنا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ)[١] وفي رواية مسلم (وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ رؤوفا رَحِيمًا)[٢].

قال ابن حجر في فتح الباري «قَوْلُهُ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي أَيْ عَلَى أَثَرِي، أَيْ إِنَّهُ يُحْشَرُ قَبْلَ النَّاسِ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ الزَّمَانَ أَيْ وَقْتَ قِيَامِي عَلَى قَدَمِي بِظُهُورِ عَلَامَاتِ الْحَشْرِ إشارة إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ وَلَا شَرِيعَةٌ، وَاسْتُشْكِلَ التَّفْسِيرُ بِأَنَّهُ يَقْضِي بِأَنَّهُ مَحْشُورٌ فَكَيْفَ يُفَسَّرُ بِهِ حَاشِرٌ وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ، وَأُجِيبَ بِأَنَّ إِسْنَادَ الْفِعْلِ إِلَى الْفَاعِلِ إِضَافَةٌ وَالْإِضَافَةُ تَصِحُّ بِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ، فَلَمَّا كَانَ لَا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ نُسِبَ الْحَشْرُ إليه؛ لِأَنَّهُ يَقَعُ عَقِبَهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ أول مَنْ يُحْشَرُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ أنا أول مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَقِيلَ مَعْنَى الْقَدَمِ السَّبَبُ، وَقِيلَ الْمُرَادُ عَلَى مُشَاهَدَتِي قَائِمًا للهِ شَاهِدًا عَلَى الْأُمَمِ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَنَا حَاشِرٌ بُعِثْتُ مَعَ السَّاعَةِ»[٣].

إذن: كما بدأ الخلق به ﷺ وبه ظهرت الأكوان، والإعادة صورة من البداية فهو الحاشر الذي يقود المخلوقات للحشر والحساب.

(١) البخاري (٣٥٧٢).

(٢) مسلم (٦٢٥٢).

(٣) فتح الباري ج٦ ص٥٥٧.

وذكر أصحاب السير والشمائل أنه ﷺ يحشر في موكب من الملائكة يصلون عليه ويعظمونه ويحتفلون به، وكأن الله تعالى يحتفل بحبيبه ﷺ ويحشره في هذا الموكب العظيم لبيان أنه أعلى الخلق قدرا وأرفعهم منزلة، وقد ذكر الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية «وأنه يحشر في سبعين ألفا من الملائكة، كما روى عن كعب الأحبار: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألف ملك يحفون بقبره ـ صلى الله عليه وسلم ـ يضربون بأجنحتهم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه ـ صلى الله عليه وسلم »[(١)].

وروى الإمام الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم **(أنا أول مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأُكْسَى الْحُلَّةَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلاَئِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِى)**[(٢)]، فها هو يصرح بما أشرنا إليه آنفا، فليس لأحد من الخلق أن ينال تلك المقامات العالية، وما صرح بها ﷺ تفاخرا من باب التعالي بل تحدثا بنعمة الله تعالى عليه وتنويها لمقامه عند مولاه العظيم وامتثالا لقوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى:١١].

وذكر الإمام ابن الجوزي في كتابه الوفا عن يوسف بن سيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يُحشر الناسُ رجالاً وأُحشر راكباً على البُرَاق وبلالٌ بين يديّ على ناقة حمراء، فإذا بلَغنا مَجْمَع الناس نادى بلال بالأذان، فإذا قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صدَّقه الأولون والآخرون)**[(٣)]. فيحشر ﷺ راكبا كالملك بين يدي الرعية وهذا لكمال منزلته وعظيم مقامه.

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ج٢ ص٣٩٦.

(٢) الترمذي (٣٩٧٠).

(٣) الوفا بتعريف حقوق المصطفى ص٥٢٣.

❁ المبحث الثاني ❁

خصائصه ﷺ في يوم الحساب والشفاعة والجنة

خص الله تعالى حبيبه ومصطفاه ﷺ بما لم يعطه لنبي مرسل ولا ملك مقرب حيث أعطاه الشفاعة العظمى، ففي هذا الموقف العظيم الخطب تبرز الحقيقة المحمدية المنتقبة بنقاب الرحمة للعالمين حيث يشفع النبي ﷺ لجميع الخلائق باختلاف أديانهم ومعتقداتهم وليس للمسلمين فقط، لتتجلى الرحمة المطلقة المودعة في روحانيته للأكوان.

١- قال الله تعالى ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] فلا يشفع الشفعاء يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا بإذن الله تعالى، وأول الشفعاء هو سيد الأنبياء والمرسلين، ولا يشفع الشفعاء إلا بعد شفاعته وإذنه من بعد أن يأخذ الإذن من مولاه ﷻ، ولقد روى الترمذي عن ابن عباس من حديث طويل أن النبي ﷺ قال (**وَأَنَا أول شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ**)[1]. فانتبه أيها الحبيب كيف أن الله تعالى جعل له ﷺ الأولية في كل خير.

٢- قال الله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء:٧٩]، ولقد فسر النبي ﷺ المقام المحمود بالشفاعة العظمى، فقد روى البخاري عَنْ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رضى الله عنهما يَقُولُ (**إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا**

(١) الترمذي (٣٩٧٦)

فُلاَنُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ)[١]، ومن حديث طويل رواه البخاري عن أنس أن النبي ﷺ قال (قَالَ **ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَي وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا قَالَ وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم)**[٢]، وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري من حديث طويل أن النبي ﷺ قال (**فَيُقَالُ لِي ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَقُلْ يُسْمَعْ لِقَوْلِكَ وَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي قَالَ اللهُ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**)[٣].

وكفى بهذه الأحاديث بيانا لمقامه العظيم الذي سيكشف للقاصي والداني يوم القيامة، وليت شعري أين سيذهب المعترضون الذين حجبوا بالبشرية ومنعوا الناس من تعظيم نبيهم وذكر خصائصه وكمالاته التي لا نهاية لها، ولكنَّ الله تعالى سيظهر هذه الكمالات للناس في يوم الحقيقة ويوم الكشف عن الأعمال والأحوال، فهنيئا لمن تعلق بهذا النبي المعظم وشغل عمره بمحبته وذكر خصائصه وفضائله وكمالاته للناس وحبب الناس في نبيهم الأكرم.

٣- قال الله تعالى واصفا يوم القيامة وأهواله ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ**

(١) البخاري (٤٧٦٥).

(٢) البخاري (٧٥٣٠).

(٣) الترمذي (٣٤٤١).

حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ [المعارج:٤-١٤].

وقال في موضع آخر ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس:٣٣-٣٧]، فكل الخلائق تقول نفسي نفسي حتى الأنبياء إلا الرحمة المهداة ﷺ لا يقول نفسي بل ينادي أُمتي، بل ويشفع لجميع الخلائق لبدأ الحساب، ولقد روى الإمام البخاري عن مَعْبَدُ بْنُ هِلاَلٍ العَنَزِيُّ، قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أهل البَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إلى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابِتٍ البُنَانِيِّ إليه يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فإذا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فأستاذنا، فأذن لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لاَ تَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ أول مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ هَؤُلاَءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أهل البَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدم، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إبراهيم، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهَّ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهَّ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أنا لَهَا، فَأَسْتَاذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الأن، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إيمان، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ

المَحَامِدِ، ثُمَّ أخر لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أو خَرْدَلَةٍ مِنْ إيمان فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخر لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إيمان، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ « فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أبي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فأذن لَنَا فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيهْ فَحَدَّثْنَاهُ بِالحَدِيثِ، فَانْتَهَى إلى هَذَا المَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيهْ، فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلاَ أدري أَنَسِيَ أم كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الأنسان عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إلا وأنا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: « ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخر لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ آله إلا اللهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لاَ آله إلا اللهُ »[1]. وفي رواية أخرى للبخاري فكل نبي يقول (نَفْسِى نَفْسِى نَفْسِى اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى)[2].

ولكل من يسأل عن شمس الحقيقة المحمدية التي تكلم بها الأولياء والعارفون بالله وأنها أضاءت الأكوان وأظهرتها فهذا هو الدليل القاطع على

(١) البخاري (٧٥١٠)، مسلم (١٩٣).

(٢) البخاري (٤٧٥٩).

مكانة هذا النبي المعظم الرحمة لجميع العوالم دون استثناء، ولنقف مع هذا الحديث العظيم لنستخرج منه الكمالات المحمدية التي أودعها النبي ﷺ وبينها في هذا الحديث.

ففي قوله ﷺ **(إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدم، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا)** وفي رواية **(نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي)** بيان لشدة الموقف والذي بينَّا عظمة أهواله في الآيات القرآنية السابقة، فيذهب الناس إلى أبيهم فيقولون **(أنت آدم أبو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وأسجد لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ)**[1] فأرشدتهم الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها إلى اللجوء للوالد عند الشدائد والاستغاثة به، وبدأوا يذكرون الخصائص والكمالات التي خصه الله تعالى بها، معتقدين أنَّهم بذكرهم لهذه الكمالات سيكون شافعا لهم من هول المحشر وشافعا لبدأ الحساب، فما كان من سيدنا آدم عليه السلام إلا أن قال لست لها نفسي نفسي؛ لأنه عارف بالله تعالى ويعلم علم اليقين أن هذا المقام لا يكون إلا لواحد في هذا الموقف وهو سيدنا محمد ﷺ، وهذا هو المقام المحمود الخاص بالنبي ﷺ، وفي قوله لست لها إشارة إلى أن الوالد المغيث هو سيدنا محمد ﷺ فهو الأب الروحي للأكوان وهو ﷺ القائل **(أنا منكم بمنزلة الوالد من ولده)**[2].

ثم قال ﷺ **(وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إبراهيم، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا)** وفي رواية **(نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي)**، فدلهم سيدنا

(١) البخاري (٧٤٤٠).

(٢) أبو داوود(٨): عن اب هريرة قال: قال النبي ﷺ (انما انا منكم بمنزلة الوالد، اعلمكم فاذا جاء أحد منكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها)و البغوي في شرح السنة (١٧٣)

آدم عليه السلام إلى الخليل سيدنا إبراهيم عليه السلام، وما كان من سيدنا إبراهيم إلا أن قال لست لها نفسي نفسي، وفيه إشارة إلى أن مقام الخلة الحقيقي في ذلك الموقف إنما هو لسيدهم وإمامهم محمد ﷺ وهكذا كل مقامات الأنبياء التي شرفهم الله تعالى بها إنما هي نيابة عن سيدنا محمد ﷺ وهذا ما ورد في رواية مسلم لحديث الشفاعة فقال (**فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى**)[1] وهذا ما سيظهر للعيان يوم القيامة، وهذا ما بينه النبي ﷺ في هذا الحديث.

ثم قال ﷺ (**وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا**) وفي رواية (**نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي**)، وسيدنا إبراهيم عليه السلام دلهم على كليم الله سيدنا موسى عليه السلام، فقال سيدنا موسى عليه السلام لست لها نفسي نفسي، وفيه إشارة إلى أن مقام الكليم الحقيقي إنما هو لسيدنا محمد ﷺ الذي كلم الله تعالى في مقام قاب قوسين أو أدنى.

ثم قال ﷺ (**وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا**) وفي رواية (**نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي**)، ولم يختلف قول سيدنا عيسى عليه السلام عن إخوانه من الأنبياء فقال لست لها نفسي نفسي، إشارة إلى أن روح الأرواح وسر بقائها وعلة إيجادها وسر إمدادها هو سيدنا محمد ﷺ.

ثم قال ﷺ (**وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أنا لَهَا، فَأَسْتَاذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي**) ومن غيره ﷺ صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود والشفاعة والسجود للرب المعبود، فكما كان سببا في الإيجاد وسرا للإمداد صار سببا للشفاعة وبداية الحساب وتخليص

(١) مسلم (٥٠٣).

الناس من أهوال هذا اليوم. وفي قوله أنا لها، أي أنا الذي ملكني ربي هذا المقام وليس لأحد سواي أن يتقدم فيشفع، فبه تُفتتح الشفاعات ويبدأ الحساب.

ثم قال ﷺ **(وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الأن، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)** فالفيوضات والإمدادات وتجليات الله تعالى مستمرة عليه حتى في ذلك الموقف فهو في ترق مستمر ﷺ، وإمداد الله تعالى له بالرحمة مستمر ومتزايد، فينادى عليه من قبل ربه ﷻ بمرأى ومسمع من الخلائق لبيان حقيقته ومنزلته **(يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)** فكأنه ملكه هذا اليوم وأعطاه التصريف في أمور الخلائق، فقوله مسموع وسؤاله مجاب وشفاعته مقبولة.

وفي رواية البخاري عن أبي هريرة أن كل نبي في ذلك الموقف يقول **(إِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ)**[1] فكل الخلائق حتى أولوا العزم من الرسل شاهدوا غضب الله ﷻ في ذلك الموقف إلا سيدنا محمدا ﷺ لم يذكر هذا الغضب؛ لأنه عين الرحمة ومظهرها في ذلك الموقف، ولَمَّا سجد الرحمة للعالمين لربه ﷻ تبدد الغضب وأعطاه سؤله فتجلت الرحمة لجميع المخلوقات. وإلى هذا المعنى أشار الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال **(لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ غَلَبَتْ أَوْ قَالَ سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِى فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ)**[2]، فقد كتبها عنده في الأزل وسيراها الخلق كلهم عيانا في المحشر، فيتحقق هذا المعنى عندما يسجد سيدنا محمد ﷺ تحت العرش فتسبق الرحمة الغضب الذي صرح به وشاهده حتى

(١) البخاري (٤٧٥٩).

(٢) البخاري (٣٥٥٧).

الأنبياء، فيالها من مكانة عظيمة خص الله تعالى بها نبيه ﷺ فانتبه رعاك الله على هذه الخصائص الكبرى.

والنكتة في أن الأنبياء نقلوا الخلق من نبي إلى نبي ولم يدلوهم على سيدنا محمد ﷺ مباشرة لكي تظهر مكانته على الجميع، إذ لو قال سيدنا آدم عليه السلام اذهبوا لمحمد ﷺ لظن الناس أن غيره من أولي العزم قادر على الشفاعة، ولكن لما أظهر الأنبياء عليهم السلام عجزهم عن هذا المقام وكلهم أشاروا لرسول الله ﷺ وقال انا لها، ظهر فضله جلياً على الجميع، وأن هذا الأمر ليس له إلا سيدنا محمد ﷺ.

٤- قال الله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة:٨٢]، يقول العارف بالله الشيخ يسري جبر الحسني (الذين أمنوا وعملوا الصالحات هم أصحاب الجنة مجازا، وصاحبها ومالكها الحقيقي هو النبي ﷺ بدلالة قوله ﷺ **(مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لُحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ)**[1]، والضمان فرع الملك، ولا ضمان فيما لا تملك، وما دام صرح ﷺ بضمانه للجنة لمن يتصف بهذه الصفات فهذا دليل على أن الله تعالى ملكه الجنة.

وكذلك قوله ﷺ **(مفتاح الجنة بيدي)** ومن معه مفتاح الدار فهي ملكه.

وكذلك قوله ﷺ **(أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ)**[2] وكلمة زعيم بمعنى ضامن، والتصرف والضمان لا يكون إلا من المالك فتراه يتصرف في الجنة فلا تفتح إلا به، ويدخل فيها من شاء من المسلمين بل ويرقي المسلمين فيها فهو المالك المتصرف.

---

(١) البخاري ٦٥٦٢.

(٢) أبو داوود (٤٨٠٢).

نتيجة وحقيقة

الروحانية المحمدية محيطة بالأكوان

بعد أن أثبتنا أنه ﷺ المخلوق الأول وكان نوراً بين يدي ربه قبل خلق الخلق، وأنَّ الله تعالى خلق من هذا النور الأكوان، وأمدها من الروحانية المحمدية، وأثبتنا نبوته من عالم الذر وآدم بين الروح والجسد، وأنه ﷺ مظهر الهداية والرحمة للأكوان، وأنه مطلع على ما كان وما سيكون وشاهد على جميع الأكوان من البدء إلى الأبد، وأنه ﷺ مطلع على أعمال أمته بل وأعمال الخلق وهو في برزخه، كل هذا يثبت لنا أن الروحانية المحمدية محيطة بالأكوان إحاطة السوار بالمعصم. والأدلة التي ذكرناها فيها الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ومع ذلك كله سنذكر هنا أدلة أخرى على ما نقول:

فالكلام هنا ليس عن الجسد المحمدي بل عن الروحانية المحمدية، والروح لها التنقل والتشكل والتعدد واختراق الأجرام، ولها الإحاطة بالعلوم، ولها من الخصائص ما لا يعلمه إلا الله، فهي سر من أسرار الحق ﷻ لذلك قال الله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥] فالروح من عالم الأمر ولها خصائص ذلك العالم.

وهذا للروح الإنسانية فما بالك بمن خلقت الأرواح من نوره. ولقد قال بعض العلماء أن سيدنا محمدا ﷺ لا يعرف حقيقة الروح مستندا إلى هذه الآية ونحن لا نقول بهذا القول، فكيف يخفى عليه أمر الروح وما خلقت إلا منه وما استمدت أسباب بقائها إلا منه، فهو روح الأرواح وسر بقائها وهو القائل في الحديث (**فتجلى لي كل شيء وعرفت**).

وانتبه رحمك الله إلى تتمة الآية المباركة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:٨٥] حيث أخرج نفسه ﷺ ولم يقل وما أوتينا، بل قال وما أُوتيتم أنتم من العلم إلا قليلا، أما هو فيعلم حقيقتها وكيفية خلقها وأسرارها، بل ما خرجت إلا منه وما استمدت إلا منه، وهذا ما صرح به الإمام الغزالي رضي الله عنه في الإحياء حيث قال (وإخفاء سر الروح وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من القسم الذي لا يدركه إلا الخواص، فإن حقيقته بما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه، ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله ﷺ، فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه، ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه؟ ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء)[1].

وما قاله الإمام الغزالي من أن الله تعالى قد يكشف سر الروح لبعض أولياءه عين الصواب وهذا ما وجدناه مسطورا في كتب الأولياء كسيدي محيي الدين بن عربي وكتاب الإبريز لسيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنهما.

إذن: الكلام هنا على هذه الروح التي لها الإطلاق في الكون، ولأجل هذا السبب ينتقل الجن والملائكة من الشرق إلى الغرب بلحظة، وينزل الملك

(١) إحياء علوم الدين ج١ ص٣٤٤ طبعة دار الفيحاء ودار المنهل ناشرون.

من السماء السابعة إلى الأرض بلحظة كما كان يحصل مع سيدنا جبريل عليه السلام ويتشكل بالأشكال الشريفة كيفما شاء، وهذه الروح العظيمة المتمثلة بسيدنا جبريل عليه السلام توقفت في رحلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى ولم يستطع التقدم خطوة واحدة أخرى، وقال أنا لو تقدمت احترقت وأنت إن تقدمت اخترقت، وروح الأرواح تقدم واخترق الأنوار في الحجب السبعين التي خلقت من نوره فلم تؤثر به بل ازدادت نورا به ﷺ.

فالروحانية المحمدية سر عظيم لا يدركه ولا يعرفه ولا يحيط به إلا مولاه، ولنذكر بعض الأدلة على خصائص هذه الروحانية وكيف أحاطت بالأكوان إحاطة السوار بالمعصم:

١ – قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فهو ﷺ الرحمة السارية في جميع الأكوان كسريان الروح في الجسد، وهو ﷺ القائل (إِنَّمَا أنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ)[1]، وجاءت كلمة (رحمة) في الآية والحديث بصيغة التنكير وله دلالة، فالتنكير يفيد العموم فهو الرحمة العامة لجميع الأكوان دون استثناء، وقد يسأل سائل كيف كان ﷺ رحمة للكافر؟ وللجواب عن هذا السؤال نقول: إن الأرواح تستمد أسباب بقائها من النور المحمدي، ولأجل هذا النور يرحم الله الكفار في هذه الدنيا ويرزقهم، **قال الشيخ عبد العزيز الدباغ** في كتاب الإبريز وهو يشرح قول سيدي ابن مشيش في صلواته (وانفلقت الأنوار) «الأرواح خلقت من النور وخلق ذلك النور من النور المحمدي..... ثم قال وهذه الأرواح سُقيت من النور المحمدي عند تصويره في بطن أمه وتركيب مفاصله وشق بصره، فإن ذاته تُسقى من النور الكريم لتلين مفاصله وتنفتح أسماعها وأبصارها، ولولا ذلك ما لانت مفاصلها.

---

(١) الدارمي(١٦).

ثم قال وتسقى من النور الكريم عند نفخ الروح فيه فإنه لولا سقي الذات بالنور الكريم ما دخلت فيها الروح أبدا.....

ثم قال ولولا نوره ﷺ الذي في ذوات الكافرين لخرجت إليهم جهنم وأكلتهم أكلا، ولا تخرج إليهم في الآخرة وتأكلهم حتى يُنزع منهم ذلك النور الذي صلُحت به ذواتهم»[1] انتهى.

وقال نجم الدين الأسدي» اعلم أن الأرواح كلها خلقت من روح النبي صلى الله عليه وسلم، وأن روحه أصل الأرواح، ولهذا سُمي أميًّا؛ أي: إنه أم الأرواح، فكما كان آدم عليه السلام أبا البشر كان النبي صلى الله عليه وسلم أبا الأرواح، وكما كان آدم أبا حواء وأمها وذلك أن الله تعالى لما كان روح النبي صلى الله عليه وسلم: «كان الله ولم يكن معه شيء» إلا روحه ﷺ، وما كان شيء آخر ينسب روحه إليه أو يضاف إليه غير الله، فلما كان روحه أول باكورة أثمرها الله تعالى بإيجاده من شجرة الوجود، وأول شيء تعلقت به القدرة وشرفه بتشريف إضافته إلى نفسه فسماه ﴿رُوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، كما سُمي أول بيت من بيوت الله وضع للناس، وشرفه بالإضافة إلى نفسه، فقال: ﴿بَيْتِيَ﴾، ثم حين أراد أن يخلق آدم سواه ونفخ فيه من روحه أي: من الروح المضاف إلى نفسه وهو روح النبي صلى الله عليه وسلم كما قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص:٧٢]

فكان روح آدم من روح النبي عليهما السلام بهذا الدليل، وكذلك أرواح أولاده لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٨-٩] وقال تعالى في مريم عليها السلام: ﴿فَنَفَخْنَا

(١) الإبريز ص٤٨٥.

﴿فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١] فكانت النفخة لجبريل وروحها من روح النبي صلى الله عليه وسلم المضاف إلى الحضرة، وهذا أحد أسرار قوله صلى الله عليه وسلم: «**آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة**» (١).

قلت: وللتنكير في كلمة (رحمة) دلالة أخرى وهي الإبهام، فهذه الرحمة سر لا يعرفها إلا الذي خلقها وجعلها رحمة، ومن فوائد التنكير أيضاً التعظيم والتفخيم، ومَنْ أعظم من هذا المخلوق الذي كان علة إيجاد الأكوان ومصدر الإمداد؟.

ثم لما أراد الله تعالى أن يُعرف هذه الرحمة قال ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فعرفها بالإضافة إلى نفسه، وما أعظمها من إضافة تشريف وتعريف، إذ هي الرحمة التي لا تنفد ولا تنضب، لذلك قال عنها (وسعت كل شيء).

فهذه الرحمة المخلوقة المستمدة من مولاها وسعت كل شيء، وهذا معنى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، فهي قد وسعت المخلوقات جميعا دون استثناء وأحاطت بها وأمدتها بأسباب وجودها.

قال الطاهر بن عاشور «وَاعْلَمْ أَنَّ انْتِصَابَ رَحْمَةً عَلَى أَنَّهُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ يَجْعَلُهُ وَصْفًا مِنْ أَوْصَافِهِ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ انْحِصَارُ الْمَوْصُوفِ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ صَارَ مِنْ قَصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ. فَفِيهِ إِيمَاءٌ لَطِيفٌ إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ اتَّحَدَ بِالرَّحْمَةِ وَانْحَصَرَ فِيهَا، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ عُنْوَانَ الرَّسُولِيَّةِ مُلَازِمٌ لَهُ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ، فَصَارَ وُجُودُهُ رَحْمَةً وَسَائِرُ أَكْوَانِهِ رَحْمَةً.

(١) التأويلات النجمية ج٤ ص١٠٧.

وَوُقُوعُ الْوَصْفِ مَصْدَرًا يُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ فِي هَذَا الِاتِّحَادِ بِحَيْثُ تَكُونُ الرَّحْمَةُ صِفَةً مُتَمَكِّنَةً مِنْ إِرْسَالِهِ، وَيَدُلُّ لِهَذَا الْمَعْنَى مَا أَشَارَ إِلَى شَرْحِهِ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»

ثم قال: والتعريف فِي لِلْعالَمِينَ لِاسْتِغْرَاقِ كُلِّ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْعَالَمِ»[1]

٢- قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب:٤٥]فإذا نظرت إلى معاني الشاهد كما بينا سابقا ستتيقن أن الله تعالى ما وصفه بهذا اللفظ إلا ليبين لنا أنه ﷺ شاهد على الأكوان من البَدء إلى الأبد، ولا يكون شاهدا إلا إذا كان محيطا بما يشاهد، وهذه الإحاطة إنما تكون بروحانيته ﷺ.

٣- قال الله ﷻ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٧] [الحجرات:٧] وكما قلنا سابقا إن (في) تفيد الظرفية الزمانية والمكانية، فهو ﷺ موجود في كل زمان ومكان بروحانيته، ومن خصائص الروح كما قلنا سابقا التعدد والظهور في أكثر من مكان في آن واحد والدليل على ما نقوله موجود في السنة النبوية المطهرة فلقد رأى النبي ﷺ سيدنا موسى عليه السلام يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر في رحلة الإسراء والمعراج، روى الإمام مسلم عن النبي ﷺ قال (**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِي عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ رَجُلٌ آدَمُ طُوَالٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**)[2]، ومن ثم رآه في المسجد الأقصى وصلى بهم إماما، ورآه أيضا في السماء السادسة وسيدنا موسى عليه السلام هو الذي راجع النبي ﷺ في أمر الصلاة فصارت خمسا بأجر خمسين.

---

(١) التحرير والتنوير ج١٧ ص١٦٦.

(٢) مسلم (٤٣٧).

وكذلك رأى ﷺ سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو يصلي في المسجد الأقصى ومن ثم رآه في السماء السابعة وسلم عليه. ولقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال (**وَقَدْ رَأَيْتُنِى فِى جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فإذا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّى فإذا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَائِمٌ يُصَلِّى أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِىُّ وَإِذَا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَائِمٌ يُصَلِّى أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ يَعْنِى نَفْسَهُ فَحَانَتِ الصَّلاَةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاَةِ قَالَ قَائِلٌ يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُّ إليه فَبَدَأَنِى بِالسَّلاَمِ**)[1].

وكذلك رأى النبي ﷺ سيدنا عيسى عليه السلام يطوف بالكعبة فقد روى الإمام البخاري عن النبي ﷺ قال (**بَيْنَمَا أنا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فإذا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا ابْنُ مَرْيَمَ فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فإذا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا الدَّجَّالُ وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ قَالَ الزُّهْرِىُّ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ هَلَكَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ**)[2]، ومن ثَمَّ رآه في المسجد الأقصى كما مر بنا في الحديث السابق، ورآه أيضا في السماء الثانية وسلم عليه. ورآهم جميعا ورأى نفسه معهم حينما اطلع على الجنة وأهلها.

فها هو النبي ﷺ يذكر لنا رؤيته للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في أكثر من موضع دون أن يغيب النبي عن الموضع الذي رآه فيه أول مرة، وما ذلك إلا ليبين لنا بعض خصائص الأرواح وما خص الله به أحبابه وأصفيائه، فما

(١) مسلم (٤٤٨).

(٢) البخاري (٣٤٩٧).

بالك بإمامهم وسيدهم، فهل نُقرُ ونُثبت هذا للأنبياء ونمنعه عن سيدنا رسول الله ﷺ؟ بل إحاطة روحانيته للأكوان من باب أولى لأن أرواح هؤلاء الأنبياء إنما هي شعاع من روحانيته ﷺ، ونبوتهم مستمدة من نبوته ﷺ، ومقاماتهم وخصوصياتهم وفضائلهم إنما هي قطرة من بحر حقيقته ﷺ.

٤- قال النبي ﷺ **(تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلاَ تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)**[1]، فالشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ، والنبي يصرح بأنه من رآه فقد رأى الحق، ومن المعلوم أن ألاف المسلمين يرون النبي ﷺ يوميا في المنام من أول يوم انتقل فيه إلى الرفيق الأعلى إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكيف يرونه في وقت واحد وبأماكن مختلفة وجميعهم يرون الحق ولا يرون الشبيه أو من يتمثل به لامتناعه. فهم جميعا يرون الحق؛ لأنهم يرون الروحانية التي أحاطت بالأكوان.

هذا بالنسبة لمن يراه في المنام، أما من يراه في اليقظة من الأولياء وهذا كثير كما أثبته كبار العلماء الربانيون كالسيوطي والغزالي والشعراني وغيرهم كثير، فقد يراه أكثر من ولي يعيشون في زمان واحد وهذا يراه في المشرق وذاك يراه في المغرب وكلاهما يرى الحق لأنه يرى الروحانية المحمدية، كما روي هذا عن سيدي أبي العباس المرسي أنه قال (لو غاب عني رسول الله طرفة عين ما عددت نفسي من الرجال) وثبت هذا عن سيدنا الجنيد البغدادي والشيخ عبد القادر الجيلاني وسيدنا الشيخ أحمد الرفاعي والشيخ محيي الدين بن عربي والشيخ عبد العزيز الدباغ وشيخنا الشيخ محمد الحلَّاب رضي الله عنهم أجمعين وكل

(١) البخاري (١١٠).

الأقطاب باختلاف أزمانهم وأماكنهم يرون النبي يقظة. بل يرون الروحانية المحيطة بالأكوان والسارية فيه.

٥- قال الله ﷻ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس:١٢]، وقوله تعالى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

وفيه إشارة إلى أن النبي ﷺ قد علم كل شيء بنص هذه الآية، ولما سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قالت (كان خلقه القرآن) وكلمة الخلق شاملة لكل التصرفات، فهو ﷺ القرآن المنظور الحامل للقرآن المسطور والمبين له، وقوله ﷺ **(أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)**[1] وكما هو معلوم فالقرآن فيه ما كان وما سيكون، والنبي ﷺ قد أحاط به وعلمه لذلك قال **(فتجلى لي كلُ شيء وعرفت)** فإذا جمعنا بين الآية والحديث سيظهر لنا أنه ﷺ قد أحاط علما بالأكوان.

ولقد قال سيدي محيي الدين بن عربي ﷺ **﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾** [الأنعام:٣٨]، كما نبه عن الحقيقة المحمدية التي هي أصل الإنشاء وأول الابتداء، فهو ﷺ الأصل والأم والعالم فروعه فقال ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩] فنحن الكتاب الأجلى وهو ﷺ الأم الأعلى)[2]

٦- عَنْ عَبْدِ اللهَّ بن مسعود قَالَ **(كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الصَّلاَةِ قُلْنَا السَّلاَمُ عَلَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى اللهَّ فَإِنَّ اللهَّ هُوَ السَّلاَمُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ**

(١) أبو داوود (٤٦٠٦).

(٢) عنقاء مغرب ص٦٧.

للهَّ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلاَمُ عَلَيْكَ أيها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهَّ وَبَرَكَاتُهُ السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهَّ الصَّالِحِينَ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِى السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَّ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إليه فَيَدْعُو)[1].

فالسلام على النبي ﷺ بكاف الخطاب (السلام عليك) وكاف الخطاب تستعمل للمخاطب الحاضر القريب كما في مناجاتك لمولاك في الفاتحة في قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، وهو جلَّ جلاله وعمَّ نواله الحاضر الناظر القريب المطلع وهو أقرب إلينا من حبل الوريد سبحانه سبحانه، فنحن نقول في صلاتنا (السلام عليك أيها النبي) وملايين المسلمين يسلمون على النبي في صلواتهم في وقت واحد وأوقات مختلفة وبلغات مختلفة والنبي ﷺ يرد على الجميع في آنٍ واحد دون أن يتشوش أو يشغله سلام عن سلام، فكيف يكون هذا إلا إذا كانت روحانيته محيطة بالأكوان ومطلعة على الجميع وتخاطب الجميع دون أن تتأثر وهذه من خصائصه ﷺ جسدا وروحا، قال الله ﷻ في حقه ﷺ لما رأى آيات ربه الكبرى التي لا يتحملها مخلوق ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾ [النجم:١٧-١٨]فلا يشغله شيء عن شيء ﷺ.

ومما تقدم ذكره ندرك ونعلم علم اليقين أن النبي ﷺ سرٌ عظيم لا مجال لمخلوق أن يدركه ويحيط به، ونسأل الله تعالى أن يحققنا بحقيقة نبينا ﷺ وأن يجمعنا به وعليه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) البخاري (٨٤٣).

خاتـــــمة

الحمد لله الذي منَّ علينا بالنعمة الكبرى والرحمة العظمى سيدنا محمد ﷺ وجعلنا من أتباعه وخدامه، ونسأله تعالى أن يحشرنا تحت لوائه ﷺ يوم القيامة ومرافقته في الجنة إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وبعد،

فما ذكرناه في هذا السفر المبارك من خصائص الحبيب الأعظم في جميع الأطوار إنما هو قطرة من رذاذ بحر الحقيقة المحمدية، وكل ما كتب الأولياء وتحدثوا به إنما هو قطرة من ذلك البحر الذي لا ساحل له والذي لا يحيط به إلا مولاه.

ونسأله تعالى أن يعيننا ويمدنا بمدده حتى نُتبع هذا السفر المبارك بسلسلة متكاملة من الرسائل والمؤلفات التي تتحدث عن الحقيقة المحمدية، وما خصه الله تعالى به من الخصائص والكمالات، مستدلين على إبراز ذلك بالكتاب والسنة وأقوال العارفين بالله تعالى.

وما كتبنا هذا السفر المبارك إلا بتوفيق الله تعالى ومنِّه وفضله وكرمه.

ومن ثم بمدد الحبيب الأعظم، والسر المطلسم، القاسم لخزائن الله بحسب مراد الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ.

وبأنظار مشايخي ومددي في الدارين الذين دخلت من أبوابهم إلى الحبيب الأعظم ﷺ فلولاهم ما تعرفنا على خصائصه وفضائله وفواضله.

الفقير إلى مولاه العظيم

خلدون أمين الهيتي القادري

تم بحمد الله

فهرس المحتويات

الإهداء ٥

هذا كتاب أينعت ثمراته: قصيدة للدكتور محمد وسام ٦

مقدمة الطبعة الثانية..... ٧

مقدمة مفتي الديار العراقية الشيخ الدكتور رافع السيد طه الرفاعي .. ٩

مقدمة أ.د الشيخ يسري جبر الحسني الأزهري ١١

مقدمة الطبعة الأولى ١٣

الطَور الأول طَور النور المحمدي..... ١٧

الطَور الثاني طَور الروحانية المحمدية ٣٥

الطَور الثالث طَور الشهادة وشهوده على الأكوان في جميع الأزمان... ٤٥

الطَور الرابع طَور البشرية المحمدية ٥٣

المبحث الأول إثبات نبوته ﷺ منذ ولادته ٥٤

المبحث الثاني النور المحمدي في الشخص المحمدي ٥٩

المبحث الثالث علم النبي ﷺ بالغيب ٧٠

تتمة للطَور الرابع نشأته ﷺ حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى ١١٠
الطَور الخامس طور البرزخ ١١١
الطَور السادس طَور البعث والنشور والشفاعة ودخول الجنة ١٣٥
المبحث الأول البعث والنشور.....١٣٦
المبحث الثاني خصائصه ﷺ في يوم الحساب والشفاعة والجنة ١٣٩
نتيجة وحقيقة الروحانية المحمدية محيطة بالأكوان ١٤٧
خاتمة.....١٥٧
فهرس المحتويات ١٥٩